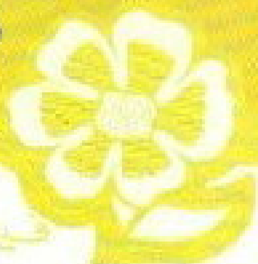
روايات عبير



فيوليت وينسبير

توأم التنّين

١١٧

العنوان الأصلي لهذه الرواية بالانكليزية
DRAGON BAY

المراسلات:
Harlequin (Cyprus) Ltd
28 Michalakopoulou St.
Athens T. T. 612, Greece

Printed in Great Britain by
Richard Clay (The Chaucer Press) Ltd, Bungay, Suffolk

١ - جزيرة التنين

ربما بدت هاجر أنيل ترتفع على سارية علم يوناني في مرفأ فوريت لم تكن وهي جزيرة في البحر الكاريبي. وبلغت من ليحت شبه صغيرة في الحادية والعشرين من عمرها، نحيلة، ترتدي سترة زرقاء ضيقة من قماش سميك فوق سروال، وتحشر قبعة أنيقة فوق شعرها الأسود الطويل.

كانت عيناها سوداوين صغيرتين كأنها ... ويسبح فيهما المرح. وفي [illegible]
[illegible]

- يبدو أن هذا المكان فندق

كانت تكلم التاجر الذي يسير معها وهي تشير الى بناية تطل منها شرفات مزخرفة وأمامها ساحة فسيحة فيها نخيل تحتضنه مشاتل من الزهور الحمراء.

- سأبقى هنا بضعة أيام.

كانت خوفا تتعرف الى البيئة الاستوائية التي وجدت نفسها فيها. كانت المراكب الشراعية في المرفأ تهتز مع النسيم ورائحة السمك والتبغ تتسرب من الأكواخ الثلاثة التي أكلتها حرارة الشمس والريح المالحة القادمة من البحر.

كان شيخ يدخن غليونه تحت الجدران البيضاء، ونظر اليها بعينيه السوداوين محييا فردت له تحيته. وللحال عرفت أنها في القسم الفرنسي للبحر الكاريبي بعيداً عن شواطىء بلادها اليونان.

وصلت مع البحار إلى الفندق وحمل حقائبها إلى الداخل. ودَّعته باليونانية قائلة:

- أخبرتني أمي أني في جزيرة دي لوك من أجل عطلتي. سأعود لاحتفل معهم بعيد الميلاد الثالث لابن أخي العزيز.

ابتسم البحار لها. كان قد أمضى فترة طويلة يعمل في خدمة آل سنتاكوس. ويعرف المحبة القوية التي تربط بول وشقيقته كارا بالرغم من أن والدها غير والدته.

وبالرغم من بلوغ كارا سن الرشد إلا أنها تبدو شابة يافعة. عيناها السوداوان الواسعتان يختلط فيهما المرح والفرح، وتبدو رائعة حين تضحك أو ترفع ابن أخيها الصغير دومنيك بين ذراعيها وهي تلاعبه.

قال البحار:

- وداعاً آنسة كارا. أتمنَّى لك عطلة سعيدة.

فأجابته وهي تبتسم:

- شكراً. أتمنى لك عودة سالمة.

وتقدمت من مكتب الاستقبال في فندق فيكتوار فقرعت جرساً صغيراً فوق المكتب سمع صداه في أرجاء الفندق. كان الهدوء يخيم على الصالة ولا يقطعه سوى صوت المروحة التي تدور متدلية من السقف. وحضر على الفور موظف من مواليد جزر الهند ينطق بالفرنسية: "... الألا" ويبدو على وجهه النعاس. خرج من غرفة صغيرة خلف المكتب، وكان يبتسم ابتسامة مصطنعة وهو يحاول أن يلبس السترة البيضاء المجعدة.

وجدت غرفة لها في الفندق. فموسم السياحة لم يحن بعد والفنادق نصفها فارغ. وقدم لها موظف الاستقبال السجل لتكتب فيه اسمها وعنوانها وتوقيعها. كانت عيناه تلاحقانها وهي تكتب بيانات، وقرأت في السجل اسم شخص منفرد في السطر الذي يعلو اسمها: لوكاس سالاديج... من سكان خليج النيل في جزيرة دي لوك.

ابتسمت كارا وقالت في نفسها... ما هذا الاسم الوحشي والعنوان الأكثر وحشية! ربما هما لشخص خبيث مثل الفأرة.

قرع الجرس فوق المكتب مرة ثانية. وعلى الفور حضر غلام كان يجلس تحت ظل النخيل وحمل لها حقائبها إلى المصعد الذي يشبه قفصاً مكوناً من

القضبان الحديدية. كانت غرفة كارا في الطابق الثاني في منتصف الممر واسعة، لها شرفة صغيرة وتشرف على ساحة الفنادق الرئيسية. كانت الغرفة قديمة ويعود في تاريخه حتماً إلى عهد المستعمرات.

تكلم الغلام بلكنة فرنسية غريبة وأخبرها أن الحمام في نهاية الممر. وأن الباص السياحي يتوقف في المساء من كل يوم وقال:

- هناك دومنيك يا آنسة. إلغاء السياحة في الفندق الموسوم فقط. هل أنت سائحة؟

أجابته بلغة فرنسية صحيحة تعلمتها في المدرسة:

- نعم إنني سائحة.

دهش الغلام وسرَّ كثيراً بالإكرامية التي قدمتها إياه

- هل ترغبين في دليل سياحي؟ أستطيع أن أرافقك إلى المدينة وأريك معالمها.

- ربما احتجت إليك... ما اسمك؟

قالت ذلك وهي ترشده إلى خارج الغرفة.

- نابوليون. ويمكنك أن تناديني باختصار نابي.

قالت وهي تضحك:

- حسناً يا نابي.

كانت كارا تستطيع أن تتعامل مع الصغار والكبار بسهولة.

- سأحضر إليك إذا أردت.

قال نابي:

- حسناً...

ثم خرج إلى الممر المظلم. كانت الستائر مسدلة لتحول دون دخول حرارة الشمس. وأغلقت كارا باب غرفتها. ثم خلعت قبعتها ومدت أصابعها في شعرها الطويل الأسود. شعرت بخشونة من أثر الشمس والرياح المالحة وتنهدت وهي تسرح بفكرها... إن الفتاة التي تزوجها ليكوس امريكية وشعرها أشقر وبشرتها صفراء شاحبة. إنها جميلة ولكنها مدللة.

فتحت حقائبها وراحت ترتب ثيابها في الخزانة. وأمسكت بفستان من الكتان وفكرت بأنها ستلبس هذا المساء موضحه على مسند الكرسي.

وأخرجت كلسات النايلون ووضعتها على خشب السرير ثم تناولت بروازاً خشبياً وحدقت بالصورة العائلية التي تحويه. كانت صورة شقيقها بول وهو يطوق خصر زوجته السمينة دوميني بشكل حازم، وقد جلس قربهما صبي صغير يشع من عينيه بريق غريب كان بول يمسك بيده الثانية.

تذكرت كارا كيف ان شقيقها العزيز بول كان مريضاً وكيف ان العناية الالهية أنقذت لها شقيقها ومحبه الكبيرة.

وتذكرت يوم استلمت الرسالة التي كانت سبب محنتها الكبيرة وحبها الوحيد. كانت كلمات الرسالة تلاحقها مثل اغنية شائعة. تقول:

عزيزتي كارا

اعرف انك ستفهمين موقفي وستسامحيني. لقد وعدتك بالزواج وأقسمت على ذلك... لكنها بالذات الحب من أول نظرة. حب الغريب للغريب. وهذا ما حصل لي وغيّر مجرى حياتي وكل قراراتي وخططي السابقة.

لقد تزوجت يا صديقتي اليونانية الصغيرة. اسم زوجتي سيبل. تعارفنا بعد وصولي الى بوسطن بقليل. وكنت حضرت الى أمريكا لأتم أبحاث الشحن من هنا في هذا القسم من العالم الذي أحبها كثيراً. اعرف تماماً أنه الحب الحقيقي الذي يصادفه الرجل ويشعر بقوته مرة واحدة في حياته.

وانت ايضاً يا كارا ستحبين شاباً مثلي وستتعلقين به ذات يوم.

كيف اسعد واهنأ بدون نيكوس؟ انه رفيق عمري. طفت معه تلال الزيتون وهضابها. سبحت معه واصطدت اسماك البحر الأيوني. سرقت العسل من خلايا النحل الأسود في نواحي الفيلوس الزرقاء. شاركته معظم افراحي واتراحي وطفولتي وصباي. لقد خسرته لامرأة اخرى تسكن في النصف الآخر من العالم

اقترحت دوميني عليها هذه الرحلة... للنسيان. وقد اقنعت بول بأن يضع تحت تصرفها اليخت الناصر الذي تملكه شركة ستافروس للنقليات البحرية والتي تجوب أساطيلها البحار

وضعت كارا الصورة العائلية على الطاولة بين السريرين. عندما يصل اليخت الى الفيلوس ويخبر القبطان شقيقها بول بأنها تركت هذه الجزيرة في

البحر الكاريبي، سيغتاظ كثيراً. وستكون مهمة دوميني أن تهدئ من روعه. ستقول:

- يا عزيزي بول يا زوجي القوي، عليك ان تعترف بأن كارا بلغت الثانية والعشرين من عمرها. انها امرأة بلغت سن الرشد. لها عقل وتستطيع ان تقرر حياتها بنفسها. انها ترغب الآن بالانفراد قليلاً. لعلها ان تنسى الماضي وتفكر بالمستقبل دون نيكوس. ولن يصيبها أذى. فهي تستطيع ان تحسن التصرف وبحكمة. انها تحمل في عروقها دماً انكليزياً ورثته عن والدتها سيقيها الطيش اليوناني ربما

نظرت كارا الى نفسها في المرآة. انها يونانية مثل بول تحمل دماً انكليزياً ورثته عن والدتها.

قال لها نيكوس مرة... انت تسحرين كالقطة وتتسلقين الجبال كالغزلان. كانت تحب مديحه. ولكنها لم تفهم الا اليوم ان مديحه لها يختلف عن مديحه لزوجته سيبل. وها هي الآن وحيدة مع أحزانها بعد كل شيء.

لامست بخفة وحيد القرن الصغير المعلق بأسورتها وكانت هدية من زوجة أخيها دوميني. دوميني أخبرتها ان وحيد القرن سيجلب اليها السعادة. والسعادة تحيّر. عليها ان تصارع وجع القلب قبل ان يفعل وحيد القرن سحره.

لم تكن كارا تؤمن بالقوى السحرية. وأية قوة في العالم لا تستطيع ان تضمد جراح قلبها أو تلملم أشلاء أحلامها وحطام قلبها الكسير

كان الهدوء يعم وقت القيلولة. لا شيء غير صوت المراوح تدور في السقف وأزيز الحصاد في الخارج. نزلت كارا السلالم الخشبية وخرجت الى الساحة امام الفندق. وجلست في ارجوحة طويلة تترجح في الهواء بلطف وهي تحاول ان تنسى.

كان نزلاء الفندق يتناولون طعام العشاء في غرفة الطعام الفارغة. وجلست كارا الى طاولة تجول ببصرها في الجالسين. رأت رجلاً متوسط العمر شعره قليل، يجلس قرب النافذة. ابتسم لها. فابتسمت وتساءلت... هل هو صاحب الاسم ليكاس سالادو من خليج الذهب؟

- هل قررت الطعام ماذا ستأكل

سألها الخادم وقد أخفى قميصه الأبيض المرقط معظم الرسوم على

بيك.
سألته:
ـ ما هو لاسي؟
ـ انه صدفة محارة تحضّر على طريقة أهل جزيرة دي لوك مع التوابل والأرز. هل ترغبين في تجربتها؟
ـ نعم. كذلك أريد مزيجاً من ثمر الأفوكاته مع الفريدس الطازج. وعسى أن لا يكون لحم المحارة يشبه في طعمه لحم الفريدس.
قال الخادم:
ـ لا يا سيدتي. ستجدين محار البحر الكاريبي لذيذاً جداً.
كان الطعام مطبوخاً بتوابل غريبة المذاق. أكلت وطلبت القهوة. ونظرت من النافذة إلى الأضواء التي تسطع على سطح الماء. المراكب في المرفأ تهتز بفعل الرياح الخفيفة. وظلال أشرعتها تظهر بأشكال متموجة في مرآة الماء. ثم غابت الشمس واحتل القمر مكانها... وتسربت إلى أنفها روائح ذات نكهة مميزة ونافذة، وعطر النباتات الاستوائية المثقل بالأحلام.
كان ضوء القمر مغرياً بالخروج. أنهت كارا قهوتها وخرجت تفتش عن ناب في ساحة الفندق. كان ينتظر في المدخل قرب شجرة نخيل. واقترب منه حين وصلت. قالت له:
ـ أريدك أن تريني فورت فرناند في ضوء القمر يا ناب.
وخرجا سوية إلى الشارع يتمشيان ويحاولان أن يتفاهما بالفرنسية. كان ناب يتشدق كمن يتلاعب في لهجته الكاريبية. سمعته يذكر كلمة احتفال وفرحت كثيراً. قالت:
ـ أحب أن أتفرج على الاحتفال يا ناب.
ـ هنا ذلك. الناس هنا يرقصون ويغنون عندما يحتفلون. ألا يفعلون ذلك عندكم يا آنسة؟
ـ نعم. نحن أهل الويلز نحب أن نغني ونرقص في مناسبات الميلاد أو العرس أو الولادة. حين ولد لأخي صبي بقي الناس في قريتنا يرقصون طوال الليل. أشعلوا المفرقعات وأناروا البواخر في المرفأ. شربوا الأنخاب وسكروا...
تنهدت تنهيدة عميقة وهي تتذكر تلك المناسبة السعيدة والفرح يطل من

عيني بول.
ـ شقيقك رجل مهم يا آنسة؟
ـ نعم. هو مهم لأننا نحبه ونحترمه ونفتخر بشجاعته الكبيرة
قال ناب:
ـ مثل السيد سانفدج هنا. انه رجل عظيم في جزيرة دي لوك. يعمل لديه من الناس حشد. انه يملك مزارع السكر والكاكاو في خليج النيل واسطبلاً للخيل و...
ـ السيد سانفدج. لقد رأيت اسمه في سجل الفندق.
ـ السيد لوكان سانفدج هو الشقيق الأصغر. انه شيطان يا آنسة. يجوب الجزيرة راكباً حصانه القوي وخلفه كلبه الكبير. قام لوكان بأعمال فظيعة جعلت الناس تتهامس قصصه همساً
وانخفض صوت ناب إلى الوشوشة مما جعل كلماته تثير فضولاً.
ـ ان اسمه سانفدج وأعماله مماثلة لاسمه. أي شريرة ووحشية...
نسيت كارا كل شيء عن لوكان حين وصلت إلى مكان الاحتفال مع ناب. كان في سهل معشوشب فوق المرفأ، حيث تتلألأ الأنوار وتسمع الضحكات الرنانة مختلطة بالصخب والضجيج.
كان هناك حشد من الناس في مكان فسيح يتفرجون على عراك حية وقط. ارتجفت كارا هرباً من هذا المنظر الوحشي، وأكملت طريقها إلى مكان آخر تخرج منه أصوات الموسيقى الراقصة. ورأت أرجوحة كهربائية مقاعدها على شكل حيوانات خشبية. حين توقفت عن الدوران صعدت إليها. كانت صدفة محببة أن تختار نمراً لتركبه. وكانت تضحك من كل قلبها والأرجوحة تدور بها على أنغام الموسيقى.
صرخ ناب وهو يتعلق برقبة حصان أبيض:
ـ هل تحبين هذه اللعبة؟
أجابت بفرح غامر:
ـ نعم. لم أشعر بمثل هذه السعادة منذ زمن طويل.
أدركت كارا أنها محظوظة لاختيارها هذا المكان. منذ توقف البحث في فورت فرناند شعرت بالفراغ. كبير النشاط في هذه الجزيرة الكاريبية الخلابة
كان الشيء يسرع وهو يدور بها. وكلما أسرع كلما ارتفعت الأصوات

بالصراخ.

ونزلت من الأرجوحة حين توقفت عن الدوران. شعرت بعطش كبير فاشترت زجاجتين من العصير لها ولناب وشربتها بواسطة القشة. وكانت تتفرج على الراقصين في بقعة أخرى يتمايلون على أنغام الطبول الصغيرة الموضوعة بين الركبتين وسط قناديل تشع وسط العتمة وأنغام الطبول القوية الصاخبة التي توحي بطقوس بدائية. كان بعض الشباب يرقصون رقصة غجرية مثيرة ... ينحنون تحت خشبة ترتفع قليلاً عن سطح الأرض، وكلما مروا من تحت الخشبة يخفض ارتفاعها قليلاً.

ابتعدت كارا تمشي على غير هدى. وصلت بعد قليل إلى خيمة العرافة. كانت الفتيات تدخلن الخيمة وتخرجن منها وهن يضحكن مقهقهات.

سألها ناب وهو يضحك:

- هل ترغبين في أن تقرأ لك ماما ماي مستقبلك؟

- إنها خرافات.

قالت ذلك وتذكرت الغجرية التي تنبأت لها قائلة: ... ستسافرين ذات يوم بحراً وستقابلين شاباً طويلاً جميلاً ... لقد سافر نيكوس وحده ولم تسافر معه. وحين يعود إلى الجزيرة اليونانية الصغيرة سيجلب معه عروسه الشقراء. تنهدت كارا على ذكرياتها الأليمة. ووصل إلى سمعها صوت أمواج البحر تلطم الشاطئ.

سألها ناب من جديد:

- وهل تخافين قراءة المستقبل؟

- بالطبع لا.

ابتعدت عن الخيمة وهي تقول:

- حان الوقت لنعود إلى الفندق. ولم تتم كلماتها حتى انفتح باب الخيمة وظهرت امرأة بدينة تضع على رأسها عصبة مزركشة ومعقوصة على الطريقة الكاريبية يتدلى من أذنيها القرط الملون. كانت نظراتها حادة نفاذة وتغطي وجهها تجاعيد كثيرة.

قالت ماما ماي:

- ادخلي يا عزيزتي ودعيني أقرأ طالعك.

- لا أريد. أنا لا أؤمن بهذه الخرافات. لقد قيل لي سابقاً إني سألتقي رجلاً

غريباً طويلاً ...

حدقت ماما ماي بكارا ثم نظرت إلى ناب وقالت:

- هل تقيمين في فندق فكتوريا؟

وضحكت الغجرية ضحكة مجلجلة جعلت القرطين في أذنيها يهتزان وأكملت:

- ستقابلين رجلاً غريباً يا عزيزتي. ألا إذا غادرت جزيرة دي لولا. في شعره نار.

قالت ماما ماي ذلك وأغلقت باب الخيمة واختفت في الداخل. رفعت كارا ناظريها بحنق وقالت:

- الرجل هذه المرة ليس أسمر، على غير العادة.

ثم التفتت إلى ناب وقالت:

- تعال.

أطاعها الصبي وتركا الاحتفال مسرعين باتجاه الفندق. لم تتكلم مع ناب في طريق العودة. وعندما وصلا إلى قاعة الفندق نظر ناب إليها مستفسراً وقال:

- هل سترحلين يا آنسة عن الجزيرة؟

- بالطبع لا. ونظرت إليه مستغربة وهي تحمل مفتاح غرفتها بيدها.

- هل هناك مياه ساخنة الليلة يا ناب؟

أومأ لها ناب برأسه. فضحكت وتركته ليذهب. قال يودعها:

- طاب مساؤك يا آنسة.

- ليلة سعيدة يا ناب.

قالتها باليونانية وصعدت إلى غرفتها في الطابق الثاني. كانت تحمل رقم ستة عشر. وشعرت بالتعب ولكنها تذكرت بأن الماء الساخن سيسهل عليها عملية النوم.

كان القمر ساطعاً ومعظم الغرف خالية من الزبائن. الحمّام في حالة للقمر. وسمعت بوضوح نغم صوت الدوش حين فتحت باب غرفتها وأشعلت النور.

تمنت ألا ينتهي الشخص الذي يستعمل الدوش بسرعة. لبست ثوب الحمام ووقفت تحمل كيساً فيه الصابون والأمشاط والمنشفة مستعدة لأخذ

حمامها. وسمعت ماءاً يغلي بقوة في الممر كأن الذي أطلقه لا يهمه إزعاج أحلام النزلاء في الليل. فتحت كارا بابها وانصتت إلى صوت الدوش. لقد صمت. كل شيء صامت وهادئ. وأطفأت النور في غرفتها فبقي نور القمر يغمرها وحده. وسارت إلى آخر الممر حيث الحمام.

كان الشخص الذي استعمل الحمام قبلها ترك أثر رجلين كبيرتين فوق البلاط الأسود الذي يغطي الأرضية. إنه رجل ولا شك. وفتحت الحنفية لتملأ المغطس القديم بماء ساخن. ورشّت بعض أملاح الحمام المعطرة برائحة الخوخ. وتنشقت الرائحة الذكية فجمحت بمخيلتها إلى غابات الحور في الديلوس. إنه شجر طويل ذو نكهة خاصة ورائحة نفاذة. وملأت الدموع مآقيها. حتى لو رغبت في مغادرة جزيرة دي لوك الآن فلن تستطيع، لأن تحت تصرفها قد طار المال. إنها الآن ضحية اندفاعها الذي أوصلها إلى هذا الشاطئ. ستبقى هذه الليلة. والحمام الساخن سيهيء لها الراحة التي تنشدها لتغط في نوم عميق.

أنهت حمامها بعد ساعة. وخرجت موردة الخدين ناعسة تتثاءب وهي تمشي إلى غرفتها... وكانت قد نسيت أن تغلق بابها. خلعت عنها ثوب الحمام دون أن تشعل النور.

وأنار لها ضوء القمر أن تصل إلى أحد السريرين. كان الإرهاق يتغلغل في أحاسيسها مثل العنكبوت. وتنهدت قبل أن تستسلم للنوم وهي تكاد تختفي تحت شبكة الناموسية.

كانت سحب من دخان السيكار تنساب من الشرفة ولكن كارا لم تر شيئاً وبعد قليل دخل رجل طويل القامة من الشرفة. دخل مع ضوء القمر ولم تلاحظه كارا. وخلع عنه سترة البيجاما ثم دخل تحت الخيمة الشبكية في السرير الثاني. هو أيضاً لم يلاحظ وجود كارا.

٢ - البحر في الليل

استيقظت كارا فجأة بعد أن قرع باب الغرفة وسمعت صوتاً يقول:
- قهوة الصباح يا سيدي.

كان الخادم يقف خارج الناموسية بين السريرين. وفتحت كارا ناموسيتها لتعرفه انها التي وليست ذكراً. كانت ستمسك بفنجان القهوة لو لم تنفتح الناموسية الثانية في السرير الثاني وتمسك يد أخرى بالفنجان. كانت يداً مشعرة. وانعقدت كارا من المفاجأة حين وقع نظرها على الرجل في السرير الثاني.

له عينان خضراوان وماكرتان، ولم تتحرك حين تفحصها... شعرها، فمها، عنقها ثم عاد ليركز على عينيها السوداوين الناعستين. ثم قال ببرود يخاطب الخادم:
- فنجان آخر للسيدة الشابة.
- حاضر يا سيدي.

ضحك الخادم ضحكة لها ألف معنى وأغلق خلفه الباب. بقيت كارا وحدها مع الغريب المتطرس ذي الشعر الأحمر والذي لم يظهر عليه أي ارتباك من هذا الموقف. نظر إلى كارا وقال:
- زيارة غير منتظرة... زائرة للفطور.

تكلم بالفرنسية ولكنها شعرت انها ليست لغته. حاولت النطق ولكن المفاجأة عقدت لسانها. وأخيراً عاد إليها صوتها وقالت بسرعة:
- هذه غرفتي. ماذا تفعل هنا؟

قال وهو يبتسم كأنه يلهو:

- آسف أن أخالف رأي السيدة. إنها غرفتي أنا. انظري حولك في أرجائها.

نظرت حولها. هناك قميص رجالي أبيض مرمي على الكرسي بدون ترتيب. وفرشاة للشعر وعدة للحلاقة. أما على الطاولة فلا صورة عائلية... واحمرّ وجهها خجلاً.

- أنا آسفة.

بدأت تغادر السرير ولكنه بصوت آمر كأنه السوط أمرها أن تبقى في مكانها. كانت عيناه الخضراوان منعكستين على رجليها اللتين ترتجفان فوق الأرض مثل جناحي عصفور خائف.

- رجلاك صغيرتان جداً. أنت لست فتاة هوى على ما أعتقد؟

كان ينظر إلى حمرة الخجل التي علت وجهها.

- وهل خاب ظنك؟

ثم أكملت:

- إنها غلطة فادحة ياسيدي. لا بد أنني أخطأت في رقم غرفتي.

- رقمي ١٩. ما هو رقمك؟

- رقمي ١٦. كانت عيناه كعيني حيوان مفترس مختبئ في فخ. حين خرج من السرير ومشى حافي القدمين إلى الباب، فتحه ونظر. ثم ضحك. إنه شيطان كبير يعتقد مثل هذه الظروف التي تضع الآخرين تحت رحمته.

- يبدو أن الرقم ٩ انقلب إلى وضع جعله يبدو ٦... على كل حال، لا يمكنك أن تتركي غرفتي الآن ياسيدتي الصغيرة. ليس بعد.

- ماذا تعني؟

تراجعت إلى سريرها بعد أن أغلق الباب ووقف داخل الغرفة. كان طويلاً، عريض الكتفين، واسع الصدر، يضج بالرجولة. لوّحته الشمس كأنه يقضي معظم وقته في الهواء الطلق.

- لو كنت رجلاً مهذباً ستسمح لي بالعودة إلى غرفتي هذه اللحظة.

- ألا ترين أنني مهذب؟

كانت عيناه الخضراوان ساخرتين وهما تنظران لها بطريقة شيطانية. نظرت إليه كارا وتسارعت نبضاتها. ثم قالت:

- تبدو لي شريراً

وأضافت بعجلة:

الخادم في طريقه إلينا مع فنجان القهوة وسأصرخ طالبة النجدة.

- كم سيكون ذلك مسلياً... فتاة أمضت ليلتها في غرفة مع غريب تصرخ في الصباح طالبة النجدة. لن يهتم الخادم لصراخك. إنه فرنسي ويفهم أن وقت الفلاك قد تأخر يا آنستي الصغيرة. أنت الآن على علاقة مع لوكاس سافاكيس. وجميع سكان جزيرة تيرو يعرفون من أنا. إنه لا يطلب الرحمة من أحد ولا يرحم أحداً.

سألت مذعورة:

- أنت؟ أنت لوكاس سافاكيس؟

- في خدمتك يا آنسة!

وانحنى لها ساخراً. كان لا يرتدي سوى بنطلون البيجاما إلا أن شكله يدل على أنه اعتاد أن يعطي الأوامر لا أن يتلقاها. كان قادراً يعطي أجود الخيل ولا يختار إلا الأفضل. تفحصته كارا وتأكدت أنه يملي شروطه الخاصة ولا يستطيع أحد أن يؤثر عليه. قال:

- أرى أنك سمعت بي مع أنك وصلت حديثاً إلى الجزيرة.

وبينما كان يتكلم تراجع عن الباب ولبس ثوباً فوق البيجاما وهو يفتش عن نعليه. لقد أحس أنها باقية ولن تركض هاربة إلى الباب. كانت غريزة الهرب تسيطر عليها. ولكنها عرفت أنها تتعامل مع رجل شرس، سريع الغضب كالنمر سينقض عليها بيديه الكبيرتين القويتين. شعرت بضآلتها قربه. وجلس لوكاس على حافة سريره يتفحصها بإمعان.

- لا أستطيع أن أنطق اسمك بسهولة...

- اسمي كارا ستيفانوس. أنا في إجازة في البحر الكاريبي. اليونان وطني.

- إذن أنت يونانية... ألا توجد كلمة يونانية للصدفة التي تجمع غريبين دون ميعاد؟

حدقت فيه بعينيها الواسعتين وقالت:

- الكلمة هي ميرا وتعني القدر.

ثم سمعت نقراً على الباب فشعرت بالارتياح. تنحنح الخادم ودخل يحمل صينية الفطور وقال:

- أحضرت الفطور لكما.

وكان يتكون من القهوة الساخنة وفطائر بالزبدة والفاكهة. كان الخادم لا يخفي ضحكاته وهو يحول بنظره بينها واحمرت وجنتا كارا خجلاً. لقد أخبرها نادل البارحة أن السيد سالفدج تشهر بمغامراته التي يتهامس بها سكان الجزيرة.

قال لوكاس:

- سنتناول فطورنا على الشرفة. ونظر إلى ثوب الحمام الذي خلعته كارا البارحة قبل نومها وتركته قرب السرير. تذكرت سرورها بالاحتفال وتعبها الشديد الذي كان كافياً ليجعلها تضل الطريق إلى غرفتها وتقضي الليل في غرفة رجل غريب.

نهض لوكاس إلى الشرفة وكان شعره بلون النار تحت أشعة شمس الصباح. وتذكرت العرافة وهي تحذرها من لقاء رجل غريب شعره بلون النار. تذكرت كيف اقترحت عليها مغادرة [illegible] في الصباح. [illegible] كان لتحذيرها بالأمس ولكنها الآن وبعد أن قابلت لوكاس سالفدج لا بد لها من مراجعة الشروط. جلست كارا على كرسي قبالة لوكاس وكانت الشمس ساطعة بحيث شعرت بالأمان في صحبة هذا الرجل الذي لا يؤمن جانبه.

[illegible]

فتاة مثلها كانت بريئة تعرض نفسها للشبهات والفضائح إذا تورطت معك.

- أنت لا تعنيني أبداً أليس كذلك؟ إنك تفكرين لو كنت شهماً لسمحت للخادم بالتكهن بما هو واضح. يا صغيرتي الشابة لا يمكنني أن أطردك إلى غرفتك دون أن يراك الخادم. كنت تنظرين إليه بعينيك الواسعتين وأنت تنامين موردة الخدين قرب فراشي.

- كان يمكنك أن تشرح له أنك [illegible] الباب الخارجي ليلة الماضية ما قلب الرقم ٦ إلى ٩ وإني دخلت غرفتك بدلاً من غرفتي؟

- ولماذا لم تشرحي أنت له بدلاً من بقائك صامتة؟

- انعقد لساني وخانتني الكلمات. حاول أن تضع نفسك مكاني. تستيقظ صباحاً في غرفة رجل غريب في فندق غريب وبلد غريب،

وتكتشف أنك أمضيت الليل كله في غرفته.

ضحك ضحكة لذيذة مما زاد في نكهة الموقف.

- [illegible] جزيرة [illegible] اليوم!

- [illegible]؟

قال ذلك وتوقف عن الضحك.

بدأت تتسلى بالتقاط فتات الخبز عن الطاولة دون أن تجيب.

- لِمَ أنت هنا يا سيدة؟ أنك تهربين من شيء، أو من شخص ما!

- هذا ليس من شأنك يا سيد سالفدج

قالت ذلك ونظرت إلى البعيد. كانت الشمس ساطعة فوق البحر ولكن حالتها النفسية لم تكن لتسمح لها بالتلذذ بهذا المنظر الأخاذ.

ثم إن حبها لنيكوس وحب نيكوس لفتاة أخرى لا يمكن بحثه مع رجل غريب، يبدو كأنه لم يعرف الحب في حياته. قال ساخراً:

- لا تجيبي يا شهيدة الحب. عواطفك الصبيانية لا تهمني. ولكن ماذا عن عائلتك؟ ألا يهمها أنك وحيدة في البحر الكاريبي حيث يمكنك أن تقعي فريسة سهلة لرجال من نوعي؟

- [illegible]

[illegible] في المنازل الكبيرة والقصور، [illegible] حقول قصب السكر ومزارع الكاكاو ويحكمون كملوك الإقطاع

ضحك ضحكة هازئة وقال:

- عائلة سالفدج من نوع الذين تعيش الآن كجزء من تاريخ هذه الجزيرة. أصولنا ممتدة عميقة في الأرض مع أصول قصب السكر والكاكاو أتينا من إيرلندا فراراً وبقينا لنؤسس سلالة.

قالت مزدرية:

- هل تملكون العبيد؟

- دخل في خدمتنا العديد من سكان الكاريبي ولكننا لم نجعلهم عبيداً لنا.

بدا متضجراً وغاضباً، وأكمل:

- سألتك عن عائلتك... هل يسمحون لطفلة مثلك أن تتجول حيث

تشاء؟

- ولا أنني لست طفلة يا سيد سالفدج. والدي توفيا منذ زمن. وقد عرفت عن شقيقك من ناب . . .

- عرفت انه مقعد وانك اللائم في اعاقته وانك الذي سببت له ذلك؟

سألته كارا وقد اتسعت عيناها السوداوان:

- وهل لأبيك ابنان؟

- نعم. نعم. كنا لا نفترق انا واخي برايد. نركب الخيل كأننا شيطانان. نفعل كل شيء سوية ونتحدى بعضنا في الجرأة والمهارة. كنا نتفوق على جميع أترابنا . . . نحن التوأمين سالفدج، نفاخر بمواقفنا تاريخ عائلتنا

كان لوكان يتكلم وهو يروح ويجيء على الشرفة امامها. بينما تجلس في كرسيها واضعة ذقنها بين كفيها تستمع اليه بكل جوارحها. واكمل:

- عندما بلغت السابعة عشرة من عمري عرفت ان شقيقي التوأم برايد هو الوريث الوحيد لأملاك العائلة لأنه كان يكبرني بساعة واحدة. أخبرتني بهذه الحقيقة الآن مربيتي الزنجية دا. قالت لي وهي حانقة: من المستحسن انك عرفت بعد برايد فهو يصلح أكثر منك لأن يكون سيد هاليح ايدن ووريثه. لقد صدمتني بالحقيقة كأنها سوط ألهب ظهري. كنت أحب شقيقي حباً كبيراً. ولكننا لم نتقاسم كل شيء . . . حقيقة مؤلمة. كنا عائدين من المدرسة في عطلة. نركض بوحشية كعادتنا. تحداني برايد ان نتسلق الصخور الحادة العالية التي بني المنزل الكبير فوقها وقد قبلت التحدي. كنا دائماً نقول: سنحاول تسلقها ذات يوم.

سمعت كارا التنهدات العميقة التي أفلتت منه حين وصل في قصته الى هذه النقطة.

وانفطر قلبها حزناً عليه. قالت له:

- يا للمسكين. هل من الممكن ان تمحو ذكرى من الزمن الماضي، كأنها لم تكن؟

وقف لوكان ينظر اليها. كانت على وجهه علامة تشبه الظلال كأنها جرح قديم. وقال:

- كل من يحمل دماً ايرلندياً يعيش مسنداً بروح التشاؤل. وهذا ما

احسسته عندما بدأت السباق مع برايد. وقد ضحك برايد ونحن نتسلق الصخور وقال: تبدو حانقاً. هل ترغب في البكاء يا اخي الصغير؟ كان دائماً يدعوني . . . اخي الصغير، عندما يرغب في السخرية والهزء مني لفارق الساعة بيننا. كنت ما أزال منزعجاً مما أخبرتني به مربيتي دا. قلت له: سأكون الاول في السباق ولو قتل أحدنا. كنت أسابق الريح كأن احداً يلاحقني بسوط في يده. وصلت الى ثلاثة أرباع الطريق وكنت سابقاً له بقليل حين هوى برايد الى أسفل، فوق الصخور . . .

واستدار لوكان ليواجه كارا. قرأت في عينيه امارات الندم ولكنه تكلم بقسوة ومرارة:

- وقع برايد وكسر ظهره.

صرخت كارا:

- اوه! لا. لا.

احست انه أخبرها قصته المؤلمة لأنه يعرف انهما لن يلتقيا بعد اليوم . . . كأي مسافر في طائرة او على متن باخرة.

- هل رأيت رجلاً وحشياً يقع في الشبكة؟ هكذا كان شعوري واخي. قلبك ينفطر على ألم القوي اكثر مما ينفطر على ألم الضعيف.

أجابته كارا وقد تذكرت شقيقها بول يوم رقد في المستشفى لا حول له ولا قوة قبل ان يستعيد قوته وعافيته في حب تومي.

- نعم أعرف ما تعني.

وسألته:

- ألم يمت شقيقك برايد؟

- كلا. كانت الأقدار هي الأقوى. لقد تحول من رجل كامل قوي إلى نصف رجل بلحظة. بقي له نصف جسده. من الخصر الى أسفل شل تماماً.

قالت كارا:

- قصتك رهيبة يا سيد سالفدج.

- وأنا. هل أنا رهيب ايضاً؟

نظرت اليه. لم تستطع ان تعبر عن رأيها فيه بكلمات بسيطة. كان يمشي في الشرفة تحت أشعة الشمس، قوياً عصبياً كأنه حيوان في قفص

مضيفتي. لعله مسجون في قفص اكبر من شقيقه المسجون في مقعده ذي الدواليب المتحركة. انه ولا شك بريء، ولكنه في نظر الجميع متهم. فقد تم قتل الصحفي لنشر الصحفي الحادثة في سباق مع شقيقه. وأصرّ على ربح السباق ولو أدى ذلك الى مقتل احدهما. هل كان يحسد اخاه لانه سيرث كل شيء؟

نهضت كارا من مكانها وقالت:

ـ عليّ ان اتركك يا سيدتي. آسفة اشد الأسف لما حصل لشقيقك، ولكن أرجوك لا تقسي على نفسك باللوم.

وقامت ووجهتها الباب. ولكنه وقف يمنعها وهو يقول:

ـ لا يمكنك ان ترحلي. يجب ان القاك مرة ثانية. سنتعشى الليلة سوية. سنتعشى خارج الفندق في مكان آخر.

ـ لا أظنها فكرة صائبة ان نلتقي ثانية.

قالت ذلك ونظرت اليه بعينيها السوداوين. نظرت الى وجهه الاسمر الذي لوحته الشمس والى عينيه الخضراوين وشعره الاحمر كأنه نار فوق رأسه. توقفت عند ندبة في خده تزيد من شكله الشيطاني الجذاب، وقالت:

ـ اظن من الأفضل لنا ان لا نلتقي.

ـ بل علينا ان نلتقي.

قال ذلك وهو يمسك معصمها بشدة وعصبية. شعرت انها لا تستطيع الافلات من قبضته الفولاذية.

ـ هل تخافين مني يا كارا ام تخافين من نفسك؟

ـ ما هذه السخافة؟ ارجوك اتركني يا سيد سالفدج. لقد استمتعت بلقائك هنا فترة طويلة وقد استمعت الى قصتك المؤلمة وواسيتك بعطفي...

ـ لعطفك! وهل تعتقدين انني اهتم لشعورك نحوي بالعطف؟ لقد اخبرتك عن حادث شقيقي رايد لأني رغبت ان تعرفي كل شيء الآن ولأني لا اريد اسراراً بيننا منذ البداية. ستلقينني مرة ثانية هذا المساء.

ـ كلا...

حاولت كارا ان تتملص من قبضته بكل قواها دون جدوى.

ـ هذا المساء يا كارا ستلقينني. لا تهربي لانك ان فعلت ستندمين الى الابد.

ـ ولماذا اندم؟

قالت ذلك بصوت غاضب شاعرة بخوف كبير وهي قربه. احست بقوة وتصميم لم تعهدهما سابقاً مع نيكوس. ثم اكملت:

ـ وهل تظن انني مدينة لك بشيء من اجل الليلة الماضية؟

ـ ربما نحن مدينون بالليلة الماضية الى قوى خارقة لا نستطيع مخالفتها الى القدر. هل تخافين الشائعات في فورت فرناندو؟ هزيلة... لن يجدوها نفسك.

ـ وكذلك علاقتي لن يسكتها!

ـ هل يهمك كلام الناس؟

رفع لوكاك رأسها بيده ونظر الى عينيها ثم الى شفتيها واكمل:

ـ لقد تكلم الناس عني كثيراً. هل تعرفين كيف حصلت على هذه الندبة في خدي؟ لقد ضربتني والدتي بالسوط على خدي حين اخبرتها بالحادث الذي وقع لشقيقي رايد. كانت في القاعة وما تزال في ثياب الفروسية. ضربتني بالسوط الذي كان في يدها وهي تقول: لا تدع الخليج يهتم بنا نحن آل سالفدج!

ضحك لوكاك بين الذكريات ثم افلت كارا وهو يقول:

ـ الأمر يا فتاتي الصغيرة. اخيراً!

وقفت كارا الى غرفتها ودخلتها واغلقت الباب. شعرت اخيراً بالامان وسط ثيابها المبعثرة والصورة العائلية المسندة في مكانها على الطاولة بين السريرين. تنفست الصعداء. ستترك الجزيرة اليوم... قبل ان ترتبط بعلاقة مع لوكاك. بدأت تستعد للرحيل. وفتحت حقائبها لتعيد ترتيب اشيائها عندما سمعت قرعاً على الباب. فتحت فرأت نادلاً واقفاً وبيده مظروف مغلق. قال:

ـ هل ترغبين في تناول ساندويش اليوم يا آنسة؟ وأعطاها المظروف.

ـ كلا. لا اظن ذلك يا نادل.

ـ على كل حال. سأكون هنا اذا غيرت رأيك.

واغلق الباب وراءه. فتحت كارا المظروف وقرأت الرسالة. كانت

كلماتها مكتوبة بقلم أسود ولا مجال للمراجعة. كتب يقول: ...
دعيني أتعشى معك عشاء وداعيا. وكما يقول الفرنسيون: الوداع

همّت كارا ان تمزق الرسالة ربما لتوفر على نفسها لقاء جديداً مع هذا الغريب. انطبع وجهه في عقلها الباطني بشكل أشد وضوحا ... وتوقفت الرسالة بين أصابعها. ماذا يهم؟ ليذهب هذا الغريب الى الجحيم. ما شأنها بما حصل له حين كانت هي طفلة صغيرة على مقاعد الدراسة تتجول مع نيكوس في تلال جزيرة التطوس ... لديها جراحها الخاصة وهي حضرت الى هنا لتنساها.

جلست كارا على حافة السرير في غرفتها تحدق في أرضية الغرفة. تذكرت نيكوس بعيداً عنها متزوجاً من سيسيل بوجهه الطويل الذي يشع حلاوة وحيوية حين يضحك. حاولت ان تستعيد شكل وجهه من الذاكرة وإذا بعينيه العسليتين تتحولان الى عينين خضراوين قاسيتين. حتى تقاطيع وجهه تغيرت لتصبح عيني رجل قاس تبرقان تحت شعره الأحمر. انها صورة لوكان.

لوكان سافدج الرجل الذي يهاجم الناس فتصفعه الخجلة والذي يحمل ندبة فوق خده من تأثير ضربة سوط ...

الشمس تغيب بسرعة في المناطق الاستوائية. يهبط الظلام فجأة وتظهر النجوم في السماء كأنها ماسات تحف بالقمر. هذه هي ليلتها الثانية في جزيرة دي ليك.

وصلت العربة الى مدخل مطعم الفندق الملون.

ابتسم السائق بعد ان نقده لوكان أجرته. ضرب الحصان بسوطه ومشت العربة منطلقة بعد ان نزلت كارا برفقة لوكان.

آخر مرة ركبت فيها عربة يجرها حصان كانت في أثينا وعضّت كارا على شفتيها لأن لوكان كان يرافقها بدلاً من نيكوس. كان لوكان طويل القامة عريض المنكبين، يلبس طقماً فاتحاً مع قميص وربطة عنق من الحرير البني اللون. أحست بأصابعه تحت كوعها وهما يدخلان المطعم. وشعرت بانتصاب قامته ورشاقته. قال:

ـ اعدك بأمسية غير مألوفة.

كانت الغرفة قليلة الانارة وتقدم منها رجل صيني وقور يلبس قفطاناً حريرياً واسع الأكمام ويداه بأصابعها الطويلة متشابكة بعضها ببعض. كانت على شفتيه ابتسامة رائقة. وانحنى لها حين اوصلهما الى طاولة منعزلة. قال:

ـ انه لمن دواعي سروري ان اراك مرة ثانية في مطعمي المتواضع يا سيد سافدج.

ـ وهذا يسرني ايضاً يا سيد ين. احب مطعمك وأنواره الخافتة وطعامك الممتاز. أتمنى ان يكون لديك لحم البط على لائحة الطعام اليوم.

ـ لدينا كل ما تحب أكله.

انحنى ين وصفق بيديه. فحضر الخادم على الفور.

تنفست كارا ببطء بعد ان اختفى الرجل الصيني خلف ستارة من الخرز. وقالت في نفسها ... هل حلمت به؟ هل انا في حلم؟ كبتت ابتسامة صغيرة خجولة وجهها وتعجبت من نفسها ... لماذا وافقت على العشاء مع هذا الرجل الشرس القاسي؟ انه يبدو اكثر شراسة تحت الأضواء الشرقية الخافتة.

نظر لوكان الى ثوب كارا البسيط والشرائط الحمراء المعقودة على خصرها. انه ثوب فتاة صغيرة وقد لبسته عن قصد. سألها:

ـ هل ذقت طعاماً صينياً من قبل؟

هزت كارا رأسها نفياً.

ـ اذن ستكتسبين خبرة جديدة اليوم. وكان يغمز بعينيه كأنه يقول لها ... هذه تجربة جديدة ستشاركه فيها. وأسرع قلبها في ضرباته. ابعدت نظرها عن وجهه بسرعة.

خاطبها الخادم وهو يقدم لها لائحة الطعام:

ـ لائحة الطعام لك يا سيدتي.

فتحتها كارا وتفحصت بعينيها الكتابة الصينية المعقدة. وسألها لوكان:

ـ هل تضعين نفسك بين يدي؟ أحست بالمعنى البعيد لجملته من دفء صوته.

ـ نعم. اعترف لي انت عشائي. ولكني ارجوك لا تطلب لي اي شيء غريب.

سخر منها قائلاً:
- هل انت خائفة من هذه التجربة؟ فتاة مثلك قادمة من أرض تكثر فيها الاساطير
- كان هذا في الزمن الغابر يا سيد سافدج. الاساطير أصبحت داجنة تطمس الحقل.
- يا لخيبة الأمل!
نظر اليها كأن شيطانين خضراوين يسكنان عينيه. ثم نظر الى الخادم وطلب العشاء. كانت كارا متأكدة انه طلب لها اغرب ما يوجد على لائحة الطعام.
سائلاً: هل ترغبين في تجربة اكلة كواي تسو؟
- وما طعمها؟
- كواي تسو هما عصوان لأكل الارز يا سيدتي.
وأشار الخادم الى طاولة مجاورة حيث جلس اثنان يأكلان بهما طعامهما الصيني.
- أجلب لنا زوجين منها. وكذلك اجلب لنا شراب الارز فوراً. انه يهدىء الاعصاب.
قالت كارا:
- كم انت مقيت! اعتقد انه يسرك ان تجعل من المرأة اضحوكة.
- انك لست فتاة صغيرة ليس الا. كيف يماثلك فارس احلامك... مثل وردة تنتظر من يقطفها؟ ألهذا تهربين منه لانه تردد طويلاً؟
قالت بغضب:
- ليس في نيتي ان اشاركك خصوصياتي.
- لا يمكننا بعد ان نكمل دور الغريبين يا كارا. الليلة الماضية تقاسمنا غرفة نوم واحدة. اتذكرين؟ ماذا سيقول حبيبك اليوناني عن ذلك؟
قال ذلك وعيناه تقدحان شرراً.
- لن يقول شيئاً يا سيد سافدج. نيكوس تزوج امرأة اخرى التقاها في اميركا ولا يمكنني ان انافسها. هي تملك كل شيء: الشعر الاشقر، القوام الرشيق والوجه الجميل.
كانت تتكلم بعصبية ظاهرة. قال لها مازحاً:

- آه، لو كنت تملكين شعراً ذهبياً كنت تلبسين الآن خاتماً من ذهب. منذ متى تعرفين هذا الرجل؟
- كل حياتي!
- وتعتقدين انه كسر قلبك؟
- اعتقد انك اكثر رجل ساخر التقيته في حياتي. ولا اعتقد ان لديك قلباً لينكسر!
- ها قد احضر الخادم الشراب. انه يسمى شو شنغ ويقال انه يدفىء ابرد قلب. بالطبع ليس قلبي.
قال ذلك وهو يضحك حتى ظهرت اسنانه البيضاء في وجهه الاسمر. وصب الشراب في كوبين صغيرين. وطلب لوكان منها ان تشربه على الطريقة الشرقية بنفس كبير. وبعد ان رشفت منه قليلاً شعرت باحساس لطيف يسري في عروقها وقد هدأ تشنج أعصابها قليلاً.
كان الطعام مزيجاً من السمك والتوابل المختلفة والأرز. وكانت كارا تحمل الصحن قريباً من ذقنها وتدفع بالعصوين بعض حبات الارز الى فمها. قال لوكان بعطف:
- الأفضل لك ان تستعملي الملعقة بدلاً من العصوين.
- كلا. لقد بدأت اتعلم طريقة استعمالها. الطعام لذيذ جداً.
تلا لحم البط مع الفطر وبعض الخضروات الاخرى التي لا تعرف كارا اسماءها. كانت الحلوى ممزوجة بالفل. وجلبوا لها اناء نحاسياً فوق منشفة صغيرة لتغسلا يديها. وبعد الطعام تناولا الشاي الياباني المعطر. شعرت كارا براحة بعد الطعام. وتنشقت رائحة الياسمين العطرة في الشاي وهي تستمع الى لوكان يخبرها عن منزله في خليج التين.
قال ان المنزل يقع في منتصف مزرعة قصب السكر وحقول الكاكاو والطريق اليه تمر عبر صفين من أشجار النخيل. ساحته الامامية تحتوي على اعمدة قديمة امام المدخل الرئيسي والمنزل حجري يتكون من ثلاثة اجنحة. قالت كارا وهي تبتسم:
- ربما هو قصر بابل.
- انه يستحق رؤية السماء. انه قلعة اقطاعية. والمنزل شبح. شبح سيدة تلبس الذهب وتخرج من نافذة مطلة فوق السلالم. ماتت حرقاً في

طاحونة السكر القديمة. قيل انها كانت تخضع إلى عشيقها هناك.
- ذلك مدهش فعلاً!
وحاولت أن لا تنظر إليه. رشفت من فنجان الشاي وقد شعرت بنبضها يسرع وسحر هذا الرجل وجاذبيته.
- انت تحب بيتك كثيراً
قال ساخراً:
- وهل يستطيع رجل بدون قلب ان يحب؟
- اعتذر. من الخطأ أن نصدر احكامنا على الناس بسرعة. أرجو أن تسامح تهوري في التكلم هكذا. أشعر من ضياع الوثائق يا سيد سالفدج
- هل انت دائماً متهورة وطائشة؟
قال ذلك وأومأ إلى الخادم. عرفت ان المحادثة انتهت وانه يطلب الفاتورة
- احياناً أفعل اشياء وأندم عليها. هذا طبع في ستيفانوس. والدي تزوج ولقي ربه بعد أن عرفها بعشرة أيام فقط. هي انكليزية وأنا في غالبيتي يونانية الطبع
- حين يحضر الخادم مع الشراب سيجلب معه ورق الحظ ليخبرنا عن المستقبل. الصينيون شعب يؤمن بالفأل وقراءة المستقبل. هل يؤمن اليونانيون بذلك أيضاً؟
- نعم.
ألم تتنبأ لها العرافة السوداء البارحة انها ستقابل رجلاً غريباً شعره أحمر يشبه النار؟ لقد تحققت نبوءتها...
جلب الخادم الصيني ورق الحظ. وخرج السيد بن من خلف الستائر الحريرية حاملاً زجاجة فتحت لها الشراب من قنينة صوانية قديمة. قدم كوباً إلى كارا وآخر إلى لوكان. شرباها سوية ثم أخذ كل منهما ورقة ووضعها امام السيد بن ليقرأ طالعهما. عملية تسلية بالنسبة لكارا ليس الا. فهي لا تؤمن بهذه الأمور. ومع ذلك شعرت بضربات قلبها تسرع وهي تنظر إلى الرجل الشرقي بقفطانه الحريري ذي الأكمام الواسعة. قال لها:
- أرى حفلة تديرها الشاعل في المنزل الكبير في خليج الشمس. الحرير يا صغيرتي هل تنتظرين ان تحضري حفلة عرس قريبة؟
قالت كارا:

- حفلة عرس؟ لقد اقيمت الحفلة يا سيد بن. لم احضرها لأنها كانت في مكان بعيد عن مسكني.
وضع بن البطاقة قربه وأضاف:
- هناك بعض التفاصيل الغامضة. كان اسماً يبكي.
وبسرعة قلب البطاقة على وجهها وبدأ يقرأ حظ لوكان من بطاقته. كان لوكان يتفرج على الحفلة الصينية وهو يبتسم. قال:
- هل هو عرس أم مأتم والناس تبكي عليّ؟
وتمتم لنفسه:
- الحفلتان لا تختلفان؟... حفلة العرس وحفلة المأتم.
قال بن:
- احذر يا سيد لوكان انك اخترت بطاقة القدر من بين ورق الحظ. عليك بانتقاء بطاقة غيرها.
- لا أريد. هذا قدري ولن أواجهه هذه الليلة.
- كما ترغب. أتمنى أن تكون الخدمة والطعام في مطعمي قد أعجباكما؟
قال لوكان:
- الطعام ممتاز وكذلك الخدمة.
وقالت كارا:
- الطعام لذيذ وفاخر. سأحمل معي ذكريات مدهشة حين أترك جزيرة دي لوك.
وبعد لحظات غادرت كارا هذا المكان الشاعري. كانت كالمسحورة التي خرجت من هيكل. مشيا سوية قرب الشلال وسألها لوكان:
- حسناً. والآن ما رأيك في البحر الكاريبي؟
- انه رائع الألوان، لذيذ وغير اعتيادي.
أعطاها يده ومشيا على الشاطيء الرملي. كانت ليلة مقمرة وأشجار النخيل الباسقة تنحني مع النسيم
- ومع ذلك سترحلين!
انحنى ولمسته بصداقة كبيرة وقال:
- وهل لقاؤنا بدون ميعاد سيكون من الذكريات التي ستحملينها معك؟
قالت بصدق:

- طبعاً بالتأكيد. كيف سأنسى هذا الصباح. . . أو هذا المساء في مطعم الفندق المنزوي؟ كيف سأنسى رجلاً يحمل ذكريات طفولة أليمة؟

- كلما كانت القدية أعمق، كلما كان الجلد أكثر خشونة

كان يسخر. رفعت الصدفة الفارغة طالباً اليها ان تضعها على أذنها وسألها

- ماذا تسمعين؟

- أسمع أمواج البحر [illegible] على الشاطئ.

ابتسم

- انها أمواج البحر في خليج التين.

سألته:

- لماذا تنزل في فندق فكتوريا اذا كنت تسكن خليج التين؟

- كنت في رحلة خارج الجزيرة. سأعود في الأسبوع المقبل على متن مركب شراعي الى البيت

كانت عيناه الخضراوان تلاحقانها بشغف. وأكمل:

- هل تعتقدين ان هذه الطريقة بدائية للتنقل؟ الرحلة الى خليج التين تتم دائماً بهذه الطريقة. انها جزء من التراث العائلي. حاجة ماسة تسري في دمنا هي ان نتمسك بالتقاليد وننكر عصر الآلة.

- أفهم ما تقول. كذلك عندنا في اليونان. أنا أحب جميع العادات القديمة: مثل الصبي الذي يجرّ خلفه معزة يجوب بها التلال. مثل موسم الحظة بعد قطاف الزيتون. مثل السباحة ليلاً وسط العتمة، تجمع بأيدينا ظل النجوم المنعكسة فوق سطح الماء.

- السحر الكلاسيكي في الليل يملك سحراً غامراً.

وقف لوكاس طويلاً قرب كارا يحدق في المياه. أمعنت النظر في وجهه على ضوء القمر. انه شديد الشبه بالعرب، فوق فمه تورة عارمة وشعره كأنه خوذة فولاذية.

فجأة شعرت بانفرادهما على الشاطئ. لقد ابتعدا كثيراً عن أضواء المدينة قالت:

- علينا ان نبدأ مسيرة العودة. الوقت متأخر وفي نيتي ان أغادر غداً صباحاً

- لا تذهبي. لا تهربي من الجزيرة بسبب كلام الناس.

كان جاداً في قوله.

- انه ليس هرباً

- هل تهربين مني؟ أم تهربين حزن نفسك عن العالم حتى لا يصيبك المزيد من الألم؟ هل تظنين انني من الأشخاص الذين يمكن أن يؤلموك؟

- نيكوس لم يقصد ان يؤلمني. قلبه هو الذي أحب فتاة أخرى. هكذا القلوب تنفتح قليلاً لبعض الناس وكثيراً لغيرهم.

- ربما ان قلبك فارغ. فأنت تحوين الكلاسيكي الشكلة. الغرف الفارغة تدعو الملائكة لتسكنها؟ أنت مليئة بالحيوية ولن تسمحي للفراغ ان يعشش في داخلك.

ارتجفت. ويكمن قلبها صارخاً . . . نيكوس لماذا أحببتني قليلاً ثم تركتني!

- أينما تذهبين، ستلاحقك ذكرياتك. أنا واثق من ذلك

نظرت اليه وتساءلت. . . ما الذي يبغيه مني هذا الغريب؟ هل هي مغامرة عاطفية عابرة؟

وهذا الرجل الذي يحمل ذكريات أشد ألماً من ذكرياتها. ذكريات تمتد كالخيال لتخترق الحقيقة. ما هي حقيقته؟ هل هذا الرجل شرير وقاس لم يحمل بين ضلوعه قلباً عطوفاً مثل جسد النبي؟

- سأعود الأسبوع المقبل الى منزلي في خليج التين. لماذا لا تبقين اسبوعاً يا كارا؟ دعيني أريك قورت فرناند

في النسيم العليل الذي يهب على الشاطئ، كان كلاهما قد بدأ يؤثر فيها وفي تصميمها على ترك الجزيرة.

قالت:

- ربما لا أظنني سأجد جزيرة أجمل من هذه. شمسها دافئة وتحميها الجبال من الريح، والبحر دافئ، يصلح للاغتسال.

- هل تعرفين ان جميع الجزر معلقة في البحر [illegible] السحر الفاتنين؟

ابتسمت. واغلقت تنصت الى الصدفة الفارغة التي أعطاها اياها. كانت الأمواج الصاخبة في داخلها تهمس مثل مياه خليج التين. ووصلا الى غرفتها في الفندق. قالت:

- لقد ثبت رقم تسعة على باب غرفتك!
أجابها وهو يضحك ضحكة شيطانية:
- لاحظت ذلك أيضاً
فتحت كارا باب غرفتها ودخلت:
- شكراً. إنها سهوة لا تنس!
- هل هو القدوم أم قراءة المستقبل أم رفقتي؟ أخبريني يا كارا.
ليت لو تسأله... ماذا يجبر على رفقتها؟ أمن أجل التسلية أم هي حاجته لمساعدتها؟ لا يمكنك أن تقرأ على وجهه أي اشارات واضحة.
ضحك قائلاً:
- ماذا تفكرين كثيراً؟
فسألته بمكر:
- أنت رجل كالقدر. تعامل الجميع كأنهم لعب التسلية. أي لعبة تلعب بها معي يا سيد سافدج؟
- لعبة على السواح يا آنسة ستيفانوس. ألا ترغبين في العشاء؟ هل تخافين مني؟
- هل تخافين علاقتك برجل بدلاً من علاقاتك بغني؟
- أوه. أنت شيطان مزود حقاً!
قالت ذلك وقد احمرت وجنتاها.
- أنني صادق. لست ممن يعملون ويتفلتون من وعدهم. لا تعيشين في الجزيرة لا أستطيع أن أعدك بالسعادة لأن ذلك منوط بك وحدك يا كارا. إنها فرصة سانحة. فانتهزيها. ولكني أحذرك بأنك لن تستطيعي التصدي للقدر.
نعم لستكون لحظة. ورأت يده تلامس كتفها ثم نزلت بها إلى معصمها حيث أمسك وجه الفرد في أسورتها. قال:
- مخلوق خرافي. مثلك يا كارا.
شعرت بلمسته. وأبعدت معصمها عن أنامله بعصبية كأنها تحارب قوة مغناطيسية.
- الفندق هادئ. الجميع يغطون في نومهم. أتمنى لك ليلة سعيدة يا سيد سافدج

- ليلة سعيدة يا آنسة ستيفانوس.
قال ذلك وهو ينحني لها بسخرية بالغة مما يؤكد أصله الفرنسي
نعم... فوالدته فرنسية.

٣ - الكرنفال

بعد أسبوع على وجودها في جزيرة فوق لوتا، تركت كارا الفندق ومشت إلى الشاطئ. أحبت أن تنسى نفسها وسط ضجيج السوق وزحمة الناس. كانت تمشي دون هدف معين بين البائعات السمينات اللواتي يرقبن بضاعتهن تحت القش الكبيرة قرب تلال الفاكهة والخضار والأسماك المجففة والتوابل والقهوة المكدسة في سلال كبيرة على الرصيف. كان التجار بأصواتهم الدافئة كالعسل الأسود يعرضون العنبر والأسماك الضخمة التي تشبه السلاحف. وقرب تلال من قبعات القش المجدولة كبيرة بدائية معروضة للبيع. لاحظت كارا ظهر سلحفاة كبيرة على رصيف البحر واستمعت إلى الأقوال الكثيرة حول الكرنفال الذي سيقام غداً في الجزيرة. سيلبس الناس الأقنعة ويقرع الطبول ويقام الرقص حول النيران على الشاطئ.

جميع سكان قرية لوكاد سيشتركون في الاحتفال يوماً وليلة.

- هل تحبين جوز الهند؟

رمى أحد الباعة جوزة هند إلى كارا. أمسكتها بيدها بسرعة وطلبت منه أن يفتحها. فالتقط الرجل سكيناً كبيرة وقطع رأس الجوزة ثم ناولها إياها وهو يضحك. أخذتها كارا وشربت العصير الذي بداخلها. كان طعمه لذيذاً يشبه طعم الحليب البارد.

قالت كارا للبائع وهي تبتسم:

- شكراً.

ووجدت نفسها مجبرة على التفتيش في بضاعته علها تجد بعض ما تشتريه. عثرت على عقد من الخرز مصنوع من البلور الملونة. ثم وقع

نظرها على قناع لوجه شيطان له شعر طويل، مصنوع من الخرز.

سألها البائع:

- إنه شكل وحشي. هل تحبينه؟

- لا.

ونظرت إلى قناع آخر يغطي الوجه حتى الفم. تحركت القناع فوق وجه لوكاد. ورأت تحت القناع شفتيه وابتسامته الشيطانية.

سألها البائع:

- هل أعجبك؟

- نعم.

اشترته كارا مع العقد. وتساءلت في نفسها: كيف سيكون رد فعل لوكاد؟ هل سيلبس القناع في الكرنفال؟ إنها لا تكاد تعرفه. لقد مر أسبوع تقريباً على لقائها به، وعلمها أن تعرف دائماً أنه خطر كالأسد داخل قفص حديدي.

وأكملت تجوالها والعقد الخرزي في جيبها والقناع في حقيبة يدها بينما الناس من حولها يشترون ويساومون ويضحكون وسط رائحة القهوة التي تغلي فوق النار والفاكهة الاستوائية الناضجة في كل مكان.

كان الشعب في صخب وفوضى، وبعض الراهبات تعرض بضائعها على جانبي الشارع. والبائعات الجميلات في تنانيرهن الحمراء المزركشة والطرحات المكشكشة والأقراط الكبيرة المتدلية تحت قبعات القش الملونة يوحين بأن المدينة كلها في عرس كبير. وصلت إلى ساحة العيد التي كان يتجمع فيها المحاربون وصيادو الأطفال الأقزام، والسحار وكبار قارعي الطبول، الشبان السود قريباً. هنا ستجري ساحة العيد.

حاولت كارا أن تتصور نفسها عبدة يملكها رجل لا يهتم أبداً بشعورها نحوه. كلما ثارت عليه ضربها بالسوط ليعلمها الطاعة. وإذا هربت أرسل كلابه السوداء الكبيرة تلاحقها في مزارع القصب والأحراج. قطعت تخيلاتها المخيفة هذه وأسرعت نحو الشاطئ، حيث الفرنسيس ما يزال في الشلال على مراقب العبيد.

كان الطقس كله في البرتقال. وتذكرت رسالتها الطويلة إلى بول ودوميني كتبتها البارحة تصف فيها كل شيء، وأنه في جزيرة فوق لوتا. ولكنها لم تكت

على ذكر لوكاش سافيتش . كان لديه شعور أكيد انه يوم سيرحل عملاؤه يستطيعون العثور عليه عن كثب . ولن يصحبه بالطبع ما سيعرفه عنه ولا عن خليج التين.

جلست كارا قرب مركب لصيد القريدس . وكانت يداها تداعب حبوز العقد في جيدها بعصبية وهي تفكر . انها تحب العلها حب ... ولم يسبق لها ان احست هذه أي شيء في حياتها قبل الآن . عندما ينتهي لوكاش حدث عمر . وبعد أيام قليلة ستودعه الى الأبد . سيعود هو الى خليج التين وستكمل هي رحلتها في البحر الكاريبي . لهذا السبب لم ترد ان تذكره تشتيتها . ان ستراحلها الزوفة في جزيرة في لوث ولقاءها بلوكاش سيبقيان ذكرى.

- آوه.

صرخت بصوت مرتفع عندما انفرط العقد وتناثرت حباته واختلطت بحبات الرمل على الشاطئ . وانحنت كارا تلتقطها . كانت حزينة كأن عقداً من اللؤلؤ قد انفرط . ان العقد ذكرى رحلتها الى هذه الجزيرة . وبدت تفكر في انه سيعيد الى ذاكرتها الأصوات والضجيج وحركة السوق هذا الصباح . . .

كانت ما تزال منهمكة بالتقاط حبات العقد حين قفز احدهم الى قربها حيث كانت ما تزال جاثية على ركبتيها فوق الرمال . رجلان كبيران في ... ونظرت فزعة الى الرجل الطويل في قميصه ... وسرواله الخفيف . شعره احمر يلمع فوق عينيه الخضراوين . قال لها:

- ما رأيت صغيرة تفتش عن الأصداف وسط رمال الشاطئ؟

قالت وقد احمرت وجنتاها

- انفرط العقد.

ونهضت واقفة ووضعت حبات العقد في جيب سترتها وسألته:

- كيف عرفت مكاني؟

- رأتك احدى البائعات قرب ... في ساحة العيد القديمة . تكهنت انك حضرت الى الشاطئ . لماذا هربت وحدك الى هنا؟

أخيراً خرجت الكلمات من فمه:

- رغبت في الانفراد.

كانت تحدق به وهو يحدق بها والبحر وراءهما ساكن والنخيل ينحني مع النسيم بلطف . قال:

- المرأة الصادقة نوعان . . . نوع لا سكنة له ونوع لا قلب له . ولا اعرف بعد من أي نوع انت؟ امسكي!

ورمى لها بتفاحة تكونها مزيج من حلاوة وحموضة المشمش وقال:

- هل تعرفين ما يقوله سكان الجزيرة عن هذه التفاحة؟ انها الفاكهة ...

قالت وهي تقضم لها

- هل تعكس انت الآية وتحاول اغوائي؟

كان الأحد هو يوم الكرنفال . وبعد الكرنفال سيسافر لوكاش الى منزله على مركب وسيأخذ روحها معه . اليوم صباحاً اقترحت كارا بنفسها تحاول ان تخبر شعورها ولوكاش بعيد عنها ... من اسبوع كامل على معرفتها به . كل يوم تمضيه معه ، تزور الأماكن برفقته ، تتناول طعامها كل مساء وترقص في الأندية والمقاهي ، يضمها بذراعيه القويتين وهو يراقصها.

ما هذه الجاذبية القوية التي تربطها به؟ انها ليست سحراً . فهي تحب نيكوس وقد عرفته كل حياتها وسط نعومة اظافرها . كيف يمكنها الآن ان تعجب برجل آخر غيره؟

سألها وهو يقهقه:

- وهل تودين مني ان اغويك؟

- نعم ، الى المطعم . اني جائعة . مشت امامه وقالت:

- لنذهب الى الكافتيريا الصغيرة في المرفأ ونتناول فطورنا هناك.

- هل اشتقت الى بلدك اليونان؟

- اشتقت الى نيكوس ابن اخي الصغير . عيد ميلاده الثالث في شهر حزيران (يونيو).

- نحن الآن في اوائل مارس ... في خليج التين.

- وانت ايضاً اشتقت الى منزلك

نظرت كارا اليه ورأت في عينيه الخضراوين حباً كبيراً وهو يتنفس من انفه نفساً كأنه يشم في خياله رائحة الكاكاو . اعترف قائلاً:

- أظن ذلك. الحاجة إلى السفر عن البيت ليست بحجم الحاجة إلى العودة إليه من جديد. كنت في فرنسا في زيارة صديقة.

كان صوته رخياً عندما ذكر كلمة صديقة وتساءلت كارا في نفسها إذا كان يقصد أن يقول في زيارة امرأة. على الأرجح كان في زيارة امرأة لأنه يمثل الرجولة ألفاً من رأسه حتى أخمص قدميه. شكله الإيرلندي الأسطوري يعود إلى عصر عربات الخيل التي تسير فوق الطرقات الوعرة.

قال:

- لقد وصلنا.

أحست بيده تحيط بخصرها وهما أمام استراحة الزرقاء التي تشبه مثيلاتها في اليونان. طاولاتها بلون ... من حرارة الشمس ومظلاتها مزركشة عذبة.

قالت كارا وقد شبكت يديها فوق الطاولة تنتظر وصول الفطور:

- أنا جائعة.

قال لوكاك وهو ينظر إليها متحيراً مسروراً وضحكة كبيرة تطل من عينيه [illegible] التي تشبه [illegible] اليونان.

- [illegible]

[illegible]

[illegible] أم [illegible]؟

- لو كان الأمر كذلك لما كنت تجلسين معي الآن. أنا لا أجوب معك الجزيرة وأحدثك بجميع القصص التي حدثت لأني لطيف ومهذب يا كارا ولأنك غريبة عن الجزيرة. ولا أقوم بتسليتك لتنسي وجع قلبك المحطم أو غرورك. أنا لا يهمني مشاكل قلبك إطلاقاً. أنت تثيرين اهتمامي وتروقين لي. أنت لغز من الألغاز أحاول حله. هل هذا يشفي غليلك بالنسبة للأسباب التي دعتني للاهتمام بك؟

- لم أكن لأعتقد أنك لطيف أبداً. ثم إني لا أمثل أي لغز... لماذا اهتم بك؟ إنما أنت لغز بالنسبة لي أحاول حل رموزه.

ضحك قائلاً:

- أحببت، لأن نحن متعادلان. إني أحب روحك، وأحب عينيك السوداوين التي تشبهان بركتي ماء. أحب خجلك والطاقة المشتعلة التي تشب في عمق.

وضعت يديها على الطاولة بحركة عفوية. وتمنت لو تنتهي عطلة نهاية الأسبوع. تمنت لو أن لديها القوة الكافية لتتركه الآن وتحرم نفسها من دعوته ومن رفقته التي تعشقها وتحبها.

- حضر الطعام.

قال ذلك وهو يمد يده على [illegible] في [illegible]. وودت كارا لو تستطيع أن تبعد يده عن [illegible] وتحضرها [illegible].

بدأت روح الكرنفال تطغى على كل شيء في الجزيرة. وطلبت كارا من لوكاك أن يذهب معها إلى غرفة [illegible] كي تستأجر ثوباً جميلاً للمناسبة. وأرادت أن تفاجئ لوكاك به وتبهره. ووجدت ضالتها. كان ثوباً مكوناً من تنورة فضفاضة ولباس حريري بلون البرتقال مع قميص [illegible].

ستلبس هذا الثوب في الحفلة المقنعة التي ستقام في أقدم منزل في فورت فرنانده. يعرف لوكاك أصحاب المنزل الذين سيقيمون الحفلة وقد دعا كلاً [illegible] قائلاً:

- [illegible]

- [illegible]؟

قالت وقد [illegible]

ستكون هذه الحفلة من ذكرياتي الجميلة في هذه الجزيرة. ماذا سترتدي أنت يا لوكاك؟

قال وهو يدعي نظرة شيطانية:

- سأرتدي ثوب قرصان!

- [illegible]

وفي تمام العاشرة من صباح اليوم التالي كانت فورت فرنانده تعيش يوم الكرنفال البهيج. شوارعها الضيقة تغص بمارة [illegible] في لباس الكرنفال والبعض الآخر في ثياب بيضاء منشاة أو ثياب فولكلورية مزركشة بألوان الشمس تشرق فوق الوجوه السمراء بلون القهوة [illegible] الراقص [illegible] الفرحة. والصبية الصغار يحملون البالونات الملونة ذات الأشكال البهيجة.

كانت الأصوات تصل إلى شرفات [illegible] تختلط بالزوار والمزارعون الأغنياء مع عائلاتهم يتكلمون اللغة الإنكليزية وهم ينتظرون

مرور العربات المزينة في الاستعراض. وفي احدى العربات جلست ملكة الكرنفال وحولها بعض الشبان والشابات بثيابهم الوطنية الفولكلورية التي تحكي تراثهم الأرضي العريق.

لم تنتبه كارا إلى نظرات الحسد التي تحدجها بها الفتيات وهن في طريقهن إلى الحفلة المقامة في المساء. كن يضحكن ويهمسن بكلمات لم تسمعها كارا. وعندها وصل لوكاك بوقف الهمس من حولها. كانا سعيدين. الشارع تحت الشرفة يستحوذ على كل انتباه كارا. واحست يد لوكاك تضغط يدها فوق حديد الشرفة. قالت:

- ويحك، يدي. انك تسحقها.

قالت ذلك وهي تنظر في عينيه.

اجابها:

- سامحيني.

وكانت تعابير وجهه قاسية ولكنه خفف ضغط اصابعه وقال:

- هل تفهمين اللغة الكاريبية؟

- فقط انا احسنت السمع جيداً. ولكن لماذا تسأل؟

لاحظت غضباً من لون عينيه والتماعه.

- انظر إلى هذه الجموع الغفيرة يا لوكاك. لم اكن اعرف ان الجزيرة مكتظة بالسكان.

- فيها الكفاية واسراباً ما يبحثن عن الغرام. تعالي نذهب إلى الشارع ونتفرج من هناك على الاستعراض الكبير.

- كما تريد.

ولحقت به. احست فجأة كأنما لاحظت همس الناس عنها وعن العلاقة التي تربطهما. ثم قال:

- لقد جعلت منك امرأة شهيرة يا كارا. هل تمانعين؟

- هل يظهر علي اي اهتمام بذلك؟

وجهت اليه ابتسامة خفيفة وقالت:

- اسرع. اني اسمع قرع الطبول وهي تقترب. لقد بدأ الكرنفال.

اهتاج الجمهور حين سمع قرع الطبول. العربات المزينة لم تأت بعد. وابتدأ الكرنفال يسبح في الفوضى وقربه معصر لطاحونة قصب السكر يبعث

منها الدخان وخلفها عربة اخرى فيها جوقة يلبسون الثياب الملونة ويرقصون حول فتاة سمراء جميلة تغني فوق تلة من السكر.

صفق الجمهور استحساناً وضحكوا طويلاً. العربات عديدة وعليها صبايا مزينات بالمشلحات الجميلات مع الوف من الزهور الاستوائية. والمهرجون السود وعلى وجوههم الأقنعة يحاولون شراكاً لجميع الناس من الأشكال الغريبة المختلفة. حاصروا كارا بشطحاتهم. واخرج لوكاك من جيبه حفنة من الفضة رماها في الشارع. قال ضاحكاً:

- تلك التقاليد هنا القديمة.

وتحرر جسمها لوكاك على كتفه وسار بها. شعرت كارا باحساس لذيذ في نفسها عندما لمس عظامها. قالت:

- ارجعوا يا لوكاك. انزلني إلى الأرض. الجميع ينظرون الي.

انزلها من على كتفه وهو يضحك وقال مخاطباً كارا:

- حسبي بشرف ما عندي حتى اشتري لك الأناناس.

كان بائع متجول يبيع الأناناس في سلة مع فاكهة اخرى. اشترى لوكاك واحدة كبيرة وقطعها بحد السكين واعطاها لها. لم تذق كارا في حياتها فاكهة الذ من تلك. كان سرورها عظيماً وسط الجموع وهي تتفرج على الاستعراض. وبقيت تتفرج حتى النهاية.

تابع الاستعراض مسيرته وكانت جموع الناس تتبعه في الشوارع الضيقة. الشرفات مليئة ايضاً بالمتفرجين والحلوى والزهور ترمى فوق رؤوس المارة من الشرفات. ولقد اصاب بعضها شعر كارا وصدر لوكاك ورأسه الأحمر.

امسك لوكاك بكارا وسحبها إلى مدخل احد المنازل. بدأت كارا تسحب الخيوط بيديها المرتعشتين من شعرها وقالت:

- هذا جنون. ولكنني لا ارغب في خسارة ولا دقيقة واحدة من الكرنفال.

قال لوكاك بسرور عندما رآها تضحك من قلبها:

- دعيني اساعدك.

وبدأ ينظف شعرها مما علق به من حلوى وشرائط ورقية. قالت:

- الشكرك.
ثم تذكرت كيف رمت له ملكة الكرنفال وردة حمراء وكيف أمسك بها متعجباً. لقد ابتسمت له الفتاة ابتسامة عريضة من تحت تاجها الفضي. كانت حنطية اللون مشربة بالسمرة، عيناها بركتان من عسل وفمها بلون زهرة العليق. هل يعرف الفتاة من قبل أم أنها اختارته من بين الجموع الغفيرة لقامته الفارعة؟
سألته ضاحكة:
- أين الوردة التي رمتها لك ملكة الكرنفال؟
قال ساخراً:
- علقتها في جديلة فتاة صغيرة. هل تغارين؟
- لا. عندما كنت صغيرة كنت أغار. اليوم لا أغار إلا من دوميني زوجة أبي. شعوري بالغيرة ربما كان لفترة قصيرة جداً. لقد استطاعت بقلبها الكبير الذي يشبه جمال وجهها أن تكسب حبي.
قال لوكاس:
- دوميني اسم نادر وجميل.
قالت كارا بلطف:
- هي أيضاً شخصية نادرة وعجيبة. حين تحب شخصاً حباً كبيراً يصعب أن تقرر أي فتاة تستطيع أن تكون زوجة له. قاتل شقيقي بول دفاعاً عن اليونان وجرح جرحاً بليغاً. كانت جراحه عميقة. ومنذ عشر سنوات أحبت دوميني ... أن يحرمها من حبيبها.
ثم أكملت كارا حديثها لنفسها وهي تضحك... بول شقيقي الغالي. لقد هربت من انديانوس لأن كرامتي جرحت. أعرف أني رجل آخر ربما لا تحب من أول نظرة. ما شعرت به نحو نيكوس لم يكن أبداً في مثل حرارة شعوري نحو لوكاس. هل هذا هو الحب الحقيقي؟ إني واثقة أن فراقي عنه غداً أو بعد غد سيكون صعباً جداً وأين العشاء...
قاطع لوكاس تأملاتها قائلاً:
- لنذهب نسبح قليلاً. نستطيع أن نشتري ثياب السباحة من المخزن قرب الرصيف ونشتري أيضاً طعاماً للنزهة وهكذا نوفر على أنفسنا مشقة العودة إلى الفندق وسط الزحام.

قالت باليونانية لأنها كانت تفكر بها منذ قليل:
- لا بأس.
فسألها:
- لم أفهم ما قلت يا سيدتي الصغيرة؟
ضحكت:
- قلت نعم ولكن باليونانية.
كان جميع سكان الجزيرة يلهون في الكرنفال ولذلك كان الشاطئ خالياً لهما وحدهما. البحر كأنه فيروز ذائب. وانتقيا بقعة ظليلة تحت صخرة كبيرة فرشا بساطاً صغيراً وضعا عليه الطعام وكانت كارا متلهفة للغوص في الماء. ركضت خلف الصخرة وخلعت عنها ملابسها ثم انزلقت تلامس البحر وركضت إلى أحضان الماء. قالت:
- أنت بطيء.
وفي أقل من لحظة كان لوكاس يسابقها إلى الماء. صرخت حين أحست قبضته القاطعة تمسك بها من خصرها ورفعها كأنها طفلة صغيرة.
- أنت قاطع طريق!
وحاولت أن تفلت من يديه وهي معلقة في الهواء ولكنها لم تستطع الافلات. ضحك ثم رماها في المياه الدافئة الخضراء بلون عينيه. كان يغرقها قليلاً ثم يتركها تطفو كي تتنفس. ثم بدأ يسبح حولها في دائرة وهو يبرز لها أسنانه كأنه سمكة قرش صغيرة. كان يضحك ساخراً وهو يداعبها.
وقالت:
- أنت حقير بل خسيس.
وسبحت بعيداً عنه وعن الاعيبه. كان شعورها وهي معه غريباً عليها. لقد سكن قلبها ولكن رفقته في البحر وخارجه خاطرة كبيرة ومغامرة لا تنتهي.
خرجت كارا قبله من الماء. ونفضت شعرها من المياه العالقة به كما يفعل الجرو الصغير.
تنهدت ومدت ذراعيها للشمس. إنها يونانية ... الطبيعة بكل وحشيتها. خرج لوكاس من البحر. وكان منظره وهو يقطر ماء كأنه قرصان

يقطر اللؤلؤ من اطرافه.
- يا الله الستراحة!
وتمدد على الأرض وفتح فمه كأنه يبتلع الشمس.
- كارا، انك تسبحين كالدلفين.
- هكذا قيل لي سابقاً.
لقد سمعت هذه الجملة اكثر من مرة. ونظرت الى سلة الطعام وسحبت خمرة وقطع من السندورة. فاكهة لذيذة وبعض الحلوى والشراب. جلس لوكاس قربها. وما هي الا ثوان قليلة حتى شعرت بأصابعه تداعب شعرها المبلل.
سألت كارا:
- هذا الشراب السيء؟! كيف تشرب بدون أكواب؟
- نشرب رأساً من الزجاجة مثل القراصنة.
لامست اصابعه حنجرتها وعنقها بلطف وإلى فانحنت. ثم:
- هل تخافين من لمسة أي رجل، ام فقط من لمسي انا؟!
- لقد رميتني في البحر وسلطني فوق رمحه او شعلة كأنك سمكة قرش. انني حذرة جداً من رجالك يا سيد سالفدج
مرحت كارا صحون الورق والسندورة من سلة الطعام وقلت انه لا تبدو كمن لا حول له ولا قوة، كي تشعر حقاً عندما يداعبها بعينيه الخضراوين. لماذا لا يكف عن استطلاع احوالها مع الرجال الآخرين؟ لم تعرف غير نيكوس وهو لم يقبلها سوى قبلات بريئة لم تكن لتحرك فيها ساكناً. لان تعرف الفرق بين لعبة البريئة والحب الناري الخارق.
- دعيني أغذي، ووعلك بعض الموسيقى
فتح لوكاس الراديو الصغير الذي اشتراه مع ثياب السباحة وقبعة القش وسلة الطعام. واكلا الدجاجة المحمرة ثم شربا من الزجاجة.
- الطعام لذيذ والفاكهة كذلك. الموسيقى الهادئة اصبحت ايقاعية وصاخبة كأنها تخرج من الأدغال.
وسألته:
- هل تسبح دائماً في خليج التين؟
- اكثر الأحيان في الصباح الباكر او في المساء تحت ضوء النجوم.

كانا يتمددان تحت اشعة الشمس الاستوائية في استرخاء كلي.
- هناك سمك كثير في الخليج والمرج يرتفع عالياً والصخور تشبه اسنان الذئب. في داخل مياه الخليج تيار مائي يمسك ما كأنه ذيل وحش مفترس.
قالت كارا ويداها على ركبتيها:
- الا يصلح المكان كمستنبح لقضاء العطل؟
كانت قبعة القش على رأسها تغطي عينيها وتستر اهتمامها بمنزل لوكاس الذي يبعد رحلة يوم بالبحر... في الجهة المقابلة لجزيرة دي لوك. هناك حيث الشواطئ غير مأهولة.
- ان الأقوياء وحدهم يصلحون للعيش في خليج التين.
- لماذا سمي هكذا؟
- شعارنا تين احمر مطروش فوق درع برونزي. انه شعار عائلتنا. يقول: تين آل سالفدج يحميه. ويوجد كأس ذهبية كبيرة في مدخل القاعة نقش عليها تين قرمزي. جلبها ثوار آل سالفدج وكانا شقيقين من ايرلندا. مع أنّ ايرلندي كانا يحملان قلبين مليئين بالكبرياء وحب الشيطنة ولم يقبلا الانضمام الى الرابطة الانكليزية. وبقيا لاسمهما الجديد احتفاظها وسمحتها. لم كان منها الا ان هربا على متن سفينة كانت في طريقها الى البحر الكاريبي. تحطمت السفينة بعد ارتطامها بالصخور في شمالي جزيرة دي لوك. وتمكن الشقيقان من السحاب منها الى الشاطئ، ويرافقهم فتاة اسمها مايف وعشرات الشبان الكاريبيين الذين جلبهم قبطان السفينة معه بقصد بيعهم عبيداً. كوبال ودياريد
وجدا تربة الخليج صالحة للزراعة. فرهنا الكأس الذهبية مقابل قطعة ارض صغيرة. وعمل الشبان الكاريبيون في مدمنهم فزرعوا قصب السكر والكاكاو. ثم تزوج كوبال من مايف وبنيا منزلاً كبيراً فوق الصخور العالية واعطوا الخليج اسم التين دلالة على آل سالفدج
سألته كارا:
- الم يتزوج ديارميد؟
- تزوج الزراعة وتركه امر تأسيس العائلة الى شقيقه كوبال. توفيت مايف وهي حامل بولدها الرابع. وقعت من فوق الصخور الحادة فوق الخليج. وكذلك توفيت عروس حفيدها حرقاً في طاحونة قصب السكر

القديمة. من الظاهر ان التين يحمل ضحية فيه عرائس آل سافدج.
ارتجفت كارا بعد سماع قصص عائلة آل سافدج مع انها كانت تجلس تحت حرارة الشمس. لقد اخبر لوكان قبلتها بحر خليج التين الغريب حيث الأمواج الصاخبة تتكسر على الصخور الحادة... من الصعب بحيث انها حالت دون سماع استغاثة مايف بعد سقوطها من فوق الصخور. كما حدث لبرايد ايضاً.
- اوه. انظر يا لوكان
كان هناك سرطان يزحف قربها. وضحكا من شكله الغريب. التقت نظراته بنظراتها. لمد يده وامسك يديها وجذبها الى صدره العاري. حاولت دفعه بعيداً عنه الا انها لم تستطع حراكاً امام جبروته. قالت:
- رجوتك. لا تفعل اي شيء.
سألها ساخراً:
- وماذا عساي ان افعل؟
قالت:
- ستقضي على صداقتنا.
- يا مجنونة. هل هي الصداقة التي تربطنا؟
طوقها بذراعيه وداوت القبلة بها بعد ان اصبح الرمل تحتها. عانقته بشدة فشل تفكيرها تماماً.
كانت مرتمية على الرمال وعيناها مغمضتان بعد عناقه القاسي.

- بحق الشيطان. هل انت بخير؟
مسح بابهامه دمعة انحدرت فوق خدها.
- ألم يعانقك صديقك اليوناني ابداً؟
- كلا. ليس بهذه الوحشية. نيكوس ليس خشناً.
- نيكوس فتى غرير ولم يصبح بعد رجلاً. لماذا تبكين يا حبي؟
- انت لا تستطيع ان ترى امرأة تبكي لأنك قاسي القلب
سخر منها وقال:
- يا للسخافة
- ربما دموعي تلامس شعورك واحساسك. وانت لا ترضى بذلك.

- انك انا مرعب ومقاتل!
فتحت عينيها المثقلتين بالدموع وهي ما زالت مستلقية على الرمال الدافئة. كأنها من يغني لرضه بالي شعره المجعد الفضي بلون النار. عيناه الخضراوان فيهما سحر خطير. وجسمه الملوح بحرارة الشمس لا رقة فيه ولا ليونة.
- انت رجل معقد. لا افتني احبك يا لوكان.
- وهل طلبت منك ان تحبيني يا كارا هل شعرت اني بحاجة الى صداقتك؟ امسك بها وانهضها. وبدأ يمسح الكاحلها من الرمال العالقة بها.

سألها فجأة:
- بماذا تفكرين الآن؟
- ما الذي تريده مني؟
- رفع ذقنها باصابعه وتفحص وجهها بعينيه. قال:
- ماذا تعني لك التقاليد يا كارا؟
استغربت سؤاله:
- التقاليد!
- تقاليد آل سافدج لا تعني لي شخصياً الشيء الكثير. ولكن شقيقي برايد يعيرها اهمية كبيرة وانا يعني امر تشقيقي كثيراً
- استطيع ان افهم مبلغ تشقيقك!
- ولكنك لا تفهمين ما اقصد. اني اسيرك الست كذلك؟
- كثيراً.
تراجعت كارا عنه وبدأت ترتب سلة الطعام. طوت البساط بعد ان نفضته من الرمل والقش هو الرذاذ. مشت كارا خلف الصخور لتغير ملابسها ولما عادت كان لوكان قد لبس سرواله وقميصه. وبدأت الشمس تميل الى الغروب. فمشيا نحو الرفا في طريق عودتهما
وصلا الى الفندق والآف الشاطئ تعبر الشارع الكبير. المسرح المرحة تحوم حول طاولات الطعام الشهية والأشرطة الورقية والطبول تحت الأقدام. صوت قرع الطبول يعدينا. كانت الحفلة الحية الراقصة هذا المساء تشكل قمة الاحتفال. وستعود فورت عرافة هذه النية الى احتفالاتها

الربوبة السابقة. المرح والمرح وفرح الطول... كل فرد يعيش لساعته ويلهث خلف ملذاته، يعيش للحب فقط. شعاره: نحب الليلة ونتحاسب غداً.

وقفت كارا امام مرآتها في غرفتها بالفندق تمعن النظر في انعكاس صورتها الجديدة. فتاة صغيرة ترتدي الثياب الوطنية وفي اذنيها اقراط كبيرة. كانت متوترة الاعصاب ترتجف كلما مرت بأناملها فوق شفتيها تتذكر عناقها مع لوكان. قالت في نفسها: ... كارا ستيفانوس تبدين جميلة للغاية في لباسك. بول ودومينيك سيفخران بك لو شاهداك.

واخذت نفساً عميقاً. تساءلت في نفسها: ... ما هي ردة الفعل عند لوكان بعد عناقهما على الشاطئ، في عصر هذا اليوم؟ كان يتكلم بعزلة عن منزله وتقاليد عائلته في سلفدج. ذكرى عناقه لا تفارقها. كيف كانت تحت رحمة بين ذراعيه السمراوين تسمع نبض قلبه يغزو قلبها...

بدأت ترفل في ثوبها الحريري الفضفاض. واستدارت عن المرآة. اهتزت يدها وهي تحمل القناع القرمزي الذي اشترته البارحة الى لوكان. بالنسبة اليه، العناق قد لا يعني له شيئاً سوى لحظة سرور عابرة او رغبة في التعرف الى ردة الفعل لديها. عليها ان تتذكر هذه الحقائق الليلة... للموسيقى الفاتنة والاغنية وضوء القمر يمكن ان تطيح برأس اي فتاة.

كانت تسوي قناعها فوق وجهها حين سمعت قرعاً على الباب. لا بد انه لوكان. فكرت ان تعتذر له بأن لديها صداعاً ولا يمكنها مرافقته. وحين فتحت له الباب نسيت الكلمات التي اعدتها ولم يسعها الا التحديق فيه من فتحة القناع فوق عينيها. وقف قرب الباب بلامبالاة وهو يلبس ثوب مهرج بألوانه المتنافرة. قدمت له القناع دون ان تتكلم. وقبل ان يضع قناعه على وجهه ابدى اعجابه بلباسها الفولكلوري متفحصاً اياها من قمة رأسها حتى اخمص قدميها حيث كانت تنتعل حذاء للرقص ظهر من تحت تنورتها الفضفاضة. قال:

- انك رائعة يا صغيرتي.

واضاف بضحكة شيطانية:

- انك السيدة الكاريبية بكل معنى.

- اشكرك.

وقبل ان يضع قناعه القرمزي تراجعت قليلاً الى الوراء لأن الرجل امامها تحول الى شيطان في لمحة عين.

سألها:

- كيف ترين شكلي؟ هل انفع؟

قالت وهي تضحك ضحكة بريئة:

- ستخيف كل فتيات الحفلة.

سألها متهكماً:

- المهم ان لا اخيفك انت. هل تخافين مني يا كارا؟

فاعترفت له:

- احياناً. لا عجب ان ترتدي لوناً متنافراً حتى لا يعرفك الناس.

سألها بجدية:

- ما الذي تقصدين يا صغيرة؟

- كل الفتيات اللواتي عرفتهن في حياتك لا يعنين لك اي شيء. اين كارلوتا التي ستحطم فوق صخور خليج التين. عندما تتكلم عن منزلك احس حباً وحناناً تمسكك ولا تفكر لأي امرأة ان تنضم. انا ارى خيال المرأة التي ستأخذها هناك لتصبح زوجة لك.

- هيا بنا الى الحفلة.

فاستدارت في ثوبها الحريري وترت السلالم معه. وصلا مدخل الفندق وكانت مجموعة من المقنعين تخرج من المصعد. كان الجميع في طريقهم الى الحفلة المقنعة. وحيا بعض الرجال لوكان بحرارة وحدقوا في كارا وانحنوا لها ببرود.

لا يهمها ما كان يفكر به هؤلاء. ربما وصلت الى مسامعهم النبأ الليلة التي امضتها في غرفة نوم لوكان والتي لن يصدق احد انها كانت ليلة بريئة. اي فتاة تشاركه لوكان غرفة نومه لا بد ان تكون لعوباً. سألتها احدى النساء وكأنها تعرفها:

- هل انت ذاهبة الى الحفلة يا آنسة ستيفانوس؟

كانت ترتدي ثوباً يعود الى القرن الثامن عشر وتبدو عليها اناقة ملكة فرنسية كأنها ضيفة احد المزارعين الاغنياء وليست من سكان الجزيرة. هزت كارا رأسها ايجاباً. لم يكن يهمها ان تتصرف بلباقة مع من ينظر الى

لوكان على انه عابث ماجن.
- اريد محادثتك بعد قليل. لدي ما اريد التحدث به معك.
وسارت متجهة. سألها لوكان وهو يفتح لها باب العربة التي حملتها في باب اخذتها الى الحفلة:
- هل تعرفينه؟
هزت رأسها بالنفي. ونسيت الحادثة في طريقها الى المنزل الكبير حيث ستقام الحفلة.
كانت ساحة كبيرة في الحديقة تحيط بها الاعمدة قد تحولت الى قاعة للرقص. وبدت الموسيقى قديمة العهد رومانسية يتمايل عليها الراقصون والراقصات وسط الأعمدة في بحر من ضوء القناديل.
اسرع نبض قلبها وهي تراقص لوكان خلف عمود ضخم. واستدارت فابتسمت له. كان مثل الكثيرين يلبس لباس المهرج ولكنه يختلف عنهم جميعاً بقامته الفارعة وقناعه القرمزي. كانت بين ذراعيه التي طوقتها بشدة وقد اغلقت عينيها وتركت الموسيقى تنساب حتى تتخلل كيانها. اغلقت بالذاكرة الى زمن آخر ومكان آخر. كانا بين ذراعي نيكوس في الدبلوس. ولكن لا. لا يمكن تشبيه رقصها مع نيكوس بهذا الشعور الحالم بين ذراعي لوكان والسعادة الغامرة التي تغمرها. تغيرت الموسيقى الى الفالس وهذا يدوزان بخفة. وشعرت بجسده القوي يعصرها عصراً ويكاد للوب تصبح شيأ منه. ما هذا الشعور السحري؟ الا يمكن ان يكون حباً، لا بد انه سحر اسود. هذه المرة سيتحطم قلبها حتى ولو يجرح كالمرة السابقة يوم تركها نيكوس وتزوج.
توقفت الموسيقى ومعها السحر. وامسك لوكان بها من يدها وسحبها الى حيث طاولة الطعام. اكلا السمك والكريدس مع السلطة وشربا عصير التفاح. كان لوكان منشرحاً وكانت كارا تلاحظ النساء وهن يلاحقنه بنظرات الاعجاب.
وبدت ملكة الكرنفال آية للناظرين في لباسها الوطني الجميل. واخبرها لوكان ان الملكة سترسل احد خدمها بعد قليل لتختار الرجل الذي يرافقها لراقصها فالس الامبراطورة. وهذا التدبير جزء من الاحتفال يجري كل سنة. سألته كارا:

- هل اقرأ ان طالعك هذا المساء؟
- لا. لا اريد. تعالي نرقص. قال ذلك وامسك بها ودخلا وسط المسرح الراقص. لاحظت كارا المرأة الفرنسية التي كلمتها في الفندق ترقص قربها. وكانت ترمق كارا بعينين مؤنبتين كأنها تقول لها: انا لا اوافقك على تصرفاتك. اشبه بصديقة من طفولتها كانت دائماً تسبب لها القصاص في ايام الدراسة.
قال لوكان:
- من هذه المرأة؟ تبدو كأنها تعرفك يا كارا.
- انا لا اعرفها. الناس يحسدونني على رفقتك. وهي مهتمة بهذا الأمر.
- للأسف. ان جزيرة دي لوكا مكان صغير تنتشر فيه الشائعات بسهولة وتكبر اكثر من حجمها الطبيعي. هل تمانعين يا كارا ان تكوني آخر فتيات لوكان سابقاً؟
- وهل هن كثيرات يا لوكان؟
اهذا السؤال:
- ماذا تقصدين؟
- انت لا يهمك رأيي كثيراً.
- انسي الموضوع.
قال ذلك وقبض على اصابعها بشدة شعرت معها بوجع في عظامها.
كانت الحفلة تزداد صخباً. البالونات الملونة ذات الاشكال المتنوعة تطلق مع الاشرطة الورقية التي تلف الجميع برباط وهمي. واعلن ان ملكة الكرنفال ستختار مرافقها للفالس الامبراطوري. وهمست الملكة في اذن خادمها اسم مرافقها. هز الغلام رأسه اعجاباً وذهب وسط الجموع. شاهدت كارا الغلام يمشي نحوها حيث يقف بقربها اطول مهرج في الحفلة.
انحنى لوكان من مكانه للملكة ثم نظر الى كارا وقال:
- هل تأذنين لي؟
وابتسم.
- لن يقبلوا عذري ان انا رفضت مرافقة اجمل فتاة في جزيرة دي لوكا!
- انا واثقة لما تقول. زعموك. تمتع بوقتك كما يحلو لك.

- سأفعل.

كانت المائكة سعيدة جداً برقصته. وسرت همهمة بين الجميع عندما ضم لوكاس المائكة بين ذراعيه ودار بها كأنه ملك نحل. رقصا وحدهما في الحلبة دورة كاملة قبل أن يدخل عليهما بقية الراقصين والراقصات. وأصبحت ساحة الرقص بعد قليل كالبحر المتحرك يتموج بالألوان... العيون وحدها تلمع من تحت الأقنعة.

تراجعت كارا إلى الوراء قليلاً ثم جمعت ثوبها بيديها وركضت بين الأعمدة إلى الحديقة. كانت تحاول أن تقنع نفسها بأن مراقصة لوكاس لفتاة أخرى، فتاة جميلة جداً... لا يعنيها في شيء. واتجهت تتمشى وسط الأشجار بقلب مثقل بالحزن.

شعرت كارا بأن شخصاً يتبعها. والتفتت بسرعة فإذا بها وجهاً لوجه أمام المرأة التي ترتدي ثوباً من القرن الثامن عشر. قالت المرأة:

- لو عاملني رجل كما عاملك لوكاس هلا أقتله مرة ثانية. كانت تنظر إلى كارا على ضوء القمر.

- لحقت بك لأكلمك قليلاً.

سألتها كارا:

- أكره أن يتبعني أحد أو أن يتجسس عليّ. من أنت؟

- صديقة لبول ودومني ستافروس.

قالت كارا متعجبة وبغضب:

- كم العالم صغير!

رفعت المرأة قناعها عن وجهها وقالت:

- منذ أخبروني باسمك وبأنك يونانية عرفت أنك الشقيقة الصغرى لبول. لقد التقيته في باريس مع زوجته الجميلة دومني السنة الماضية. التقينا في متحف اللوفر وكنت بصحبة صديق يعرف شقيقك معرفة جيدة. تعشينا نحن الأربعة في مطعم ماكسيم وأمضينا سهرة ممتعة معاً. وتكلم بول مطولاً عن أثينا وتاريخها القديم...

قربت المرأة من كارا ورفعت اصبعها إلى خدها وفيه خاتم من الماس يرسل بريقاً أخاذاً. كان الخاتم للزينة وليس خاتم زواج.

- كم هو رجل عظيم، شقيقك.

وضحكت كأنها حية رقطاء تنث السم في ما حولها.

- إني محظوظة بمعرفتك. سأكتب إلى دومني أخبرها عن هذا اللقاء بيننا.

حدثت كارا نفسها... ستجلب لي هذه المرأة المشاكل. إنها الخبيثة ولم تعرف حباً حقيقياً في حياتها كالحب الذي يربط بين دومني وبول.

قالت المرأة:

- يا عزيزتي كارا. أنت لست بالجميلة التي تجذب إليها لوكاس سافدج، ولا من النوع الذي يقيم علاقات غرامية مع أمثاله.

وضحكت ضحكة عالية:

- لذلك لم تحتملي رؤيته يراقص فتاة مثلانة مثل المائكة... فهربت إلى الحديقة في العتمة.

- أنا ولوكاس صديقان ليس إلا.

تكلمت كارا باليونانية وبلهجة فيها عزة وكرامة.

- وإذا تحدثت إلى أمي بكلامك أو أسأت إلى سمعتي أو سمعة لوكاس سافدج...

ولم تكمل حديثها.

قالت المرأة بلهجة ساخرة:

- وما هي السمعة الحسنة التي يتمتع بها لوكاس سافدج؟ كل سكان الجزيرة يعرفون أن شقيقه مقعد بسببه. لو مات براين لأصبح لوكاس سيد خليج التين ومالكه.

- لم يكن لوكاس مسؤولاً عن الحادث. هو نفسه أخبرني القصة بكاملها. إن شقيقه براين هو الذي اقترح أن يتسلقا الصخور...

- هو الذي أخبرك؟ وهل تصدقين كل ما يقوله لك؟ إن مربية التوأمين منذ ولادتهما ومديرة المنزل سمعت لوكاس يتحدى براين للتسلق وهي التي أخبرت والديهما بذلك بعد الحادث. كان براين ضعيفاً معظم الطفولة بعد الحادث ولم يشف أو يتذكر قصة شقيقه لوكاس. وحين استعاد قواه لم يعد يتذكر من الذي طلب التحدي. ومن المناسب للوكاس أن يبدو شهماً أمام الفتيات القاصرات اللواتي لا يرين خلف عينيه الخضراوين الحيوان المفترس الذي يقبع تحت جلده.

- تتكلمين عن لوكاس سافدج كأنك تكرهينه. ما الذي فعله لك؟

- لا شيء.

كانت ضحكة المرأة رنانة وقحة.
- اعرفه من شهرته وقد عرفت بشدة هذا النوع من الرجال. المرأة عنده لعبة جميلة فارغة العقل وانت الوحيدة التي خرجت عن القاعدة.
- لوكاك صديق فقط...
- لا بد انها صداقة عجيبة حقاً يا عزيزتي.
قالت ذلك، ولملمت ثوبها وعادت من حيث أتت تاركة كارا وحدها بين الشجر الحديقة. هذه المرأة تحسدها. انها ليست صديقة لبول وتوحي انها ترغب في ارضاء المحبين. ستكتب الى شقيقها وتوصيه لا لشيء الا لتواسيها ولن تنال كارا أي نجاح ضد سمومها. فالشخص الذي امضت ليلتها في غرفته هو لوكاك صاحب الفضائح ذو السمعة السيئة.
تلاشت الموسيقى الى سمعها تذكرها بالحفلة الدائمة وبالملكة التي ترقص لوكاك. مشت دون هدف وقد سقط قناعها الداكن من يدها دون ان تدري. وصلت الى هيكل صيني صغير تظلله النجوم وله حديقة مليئة بالزهور وفيها مقاعد صغيرة حول بركة ماء. كانت الرؤية مثيرة. وجلست على مقعد تفكر. ماذا تنتظر؟
سمعت وقع اقدام من ورائها فنهضت واقفة. كان رجل طويل يقف في مدخل الهيكل وقد سطع فوقه ضوء القمر.
- هذا انت يا كارا؟
- نعم يا لوكاك.
- ما الأمر؟ وجدت قناعك على الطريق. هل انتهت الحفلة الفاتنة بالنسبة لك؟
- نعم، نعم يا لوكاك. انتهى كل شيء. سأرحل عن الجزيرة.
- تبدين غريبة الأطوار كأن شيئاً مزعجاً حدث لك. هل هي رقصة الملكة؟ بالتأكيد يمكنك ان تتحملي بعض المرح البريء؟
- حسناً، ولكني تعبت جداً. كان اليوم طويلاً ومتعباً بالتصحيح. ارغب في العودة الى الفندق وسأذهب وحدي...
- لولا. اخبريني ما الذي حصل؟
وامسك برسغها:
- حين كنت في طريقي اليك مررت بالسيدة التي كلمتك في الفندق.

كانت على وجهها امارات التشفي كأنها صفعت احداً صفعة موجعة.
اخبريني يا كارا. هل قالت لك المرأة أي شيء عكر صفوك؟
- هذا من شأني وحدي...
حاولت الافلات منه ولكنه اطبق على يديها وجعلها اسيرة فحدقت به كأنه وحش مفترس.
- ستخبرينني ما حصل ولو بقيت معك الليل بطوله. ان بقاءنا سوية في حديقة الهيكل سيعطي الأشاعات فرصة جديدة للتوكا.
- انت لا تجرؤ على ذلك يا لوكاك!
قال بجدية:
- الك تتحديني؟
عرفت كارا انه يعني ما يقول. قالت:
- هذه المرأة تعرف اخي بول. ستكتب له لتخبره عن علاقتي الغرامية مع لوكاك صاحب الفضائح الشهير من ضمن لياليه.
وخيم عليهما صمت ثقيل ثم قال:
- من الواضح انك طفلة صغيرة.
ثم تابع بلهجة آمرة:
- اجعلهم يقولوا عن زوجتي أي شيء وسيدفعون الثمن غالياً جداً.
تسمرت كارا في مكانها. لقد صدمت. وتملكها الألم لأنه لم يذكر سابقاً أي شيء عن الزواج حين اقنعها بالبقاء معه اسبوعاً آخر بحجة وجوده كدليل سياحي لها.
- حبيبتي، لو علمت لاشتريت للعروس هدية لائقة.
قال جاداً:
- وهل تشتري العروس هدية عرسها بنفسها؟
حدقت كارا به وضربات قلبها تسرع. شعرت بضعف مفاجيء وسألت:
- لوكاك، ما الذي تقوله؟ انا لا افهمك!
- اني اتقدم منك خاطباً. اريدك ان تصبحي زوجتي.
- لا، لا يمكنك ان تطلب يدي للزواج لأن هذه المرأة البغيضة تهددني. انت ترغب في انقاذ سمعتي. افضل الموت...

- شكراً. لا يسعد أي رجل يتقدم بطلب يد فتاة للزواج هذه الاجابة السخيفة. هل تظنين يا كارا اني لا املك الجاذبية؟
- بل على العكس. انت رجل تستطيع ان تخطف بلبّ امرأة ترغب. الكثيرات يتمنين ذلك. اما انا فأرفض ان اتزوج من رجل يحبني.
- هل تريدينني ان اقول... اني احبك؟
- لا. ولكني تساءلت... هذا يرغب رجل مثلك لا يقيم وزناً للروابط العاطفية في الزواج ويربطه الشيء بقيود؟ لماذا سألتني ان اصبح زوجة لك؟
- لأني بحاجة الى زوجة بكل بساطة. احتاج فتاة تلبيا الشجاعة كي تأتي لتعيش معي في خليج التنين. تتحمل اصوات الامواج التي تتكسر فوق الصخور على الشاطئ كل ليلة والرائحة القوية التي تخرج من حقول الكاكاو في النهار. الا يكفي هذا يا كارا؟
- لماذا؟ ما الذي احصل عليه بالمقابل؟
- نفسك.
وضع يده حول وجهها وقال:
- شقيقي لا يستطيع ان يعطي وريثاً لآل ستراتوس. الاجيال تحت عاشت العائلة في خليج التنين وما زالت. اني الاخير في العائلة وعملية مواصلة صفحات العائلة للمستقبل تقع على كاهلي وحدي.
- اذاً هي رابطة قبلية بحتة. ليس عليك ان تحبني بل ان تقوم بعملية انجاب الاطفال. ماذا تطلب مني ذلك؟
- انا اسألك. يمكنك القبول او الرفض. انته مرة. الامر بهذه البساطة والقرار النهائي لا رجعة فيه. فاما ان تقبلني او ترفضيني.
خيم صمت الشاطئ واصبح وجهه واضحاً تحت ضوء القمر.
نظرت اليه كارا. وفكرت بشقيقها نول. كانت احست رهبة واللحظة حرجة. عليها ان تقرر مصيرها الآن. وهو قرار ملزم لبقية عمرها: للاحسن او للاسوأ.
- الا يقول اليونانيون ان التفكير يولد الحزن؟
وما ان انتهى لوكاس من جملته حتى بدأت الالعاب النارية تتسطع في السماء. خرجت كارا من الهيكل لتفرح ومشى معها ممسكاً بها من كتفيها

حتى لا تهرب. كانه يمسك بمواطنها ويشدها الى مصير لم تعرفه من قبل ولم تفكر به. عاطفت نحوها تختلف كثيراً عما عرفته من شعور مع نيكوس. كان هذا مرحاً كضحكة الطفولة. اما لوكاس فهو كالزوبعة وهي كالعصفور الذي تقع من حوله.
شد على كتفيها بيديه وقال:
- ساعود الى خليج التنين خلال ايام. لدينا وقت كاف للزواج وقد رغبت ان تتزوج في الكنيسة.
- نعم. اريد زواجاً في الكنيسة اذا كان ذلك ممكناً يا لوكاس.
صباح الاثنين اخذها لوكاس الى محل صغير لبيع الاثريات يزدحم بمجوهرات قديمة ورائحة عطور غريبة وتماثيل مزدوجة الاشكال. واشترى لها خاتماً من الذهب وحجارة محفورة في وسطه لؤلؤة كبيرة نقية. البسها خاتم الخطوبة وقد اعجبته رقة تعلقه
- لم اكن لاتمنى اي شيء اجمل منه يا لوكاس.
ولم يخطر ببالها ان اللؤلؤة البيضاء في وسط الخاتم تشبه دمعة تتساقط من يدها.
خرجا من دكان بائع المجوهرات واسرعا في الاتجاه المعاكس. هو ليحصل على شهادة زواج وهي ارسل برقية لشقيقها وزوجته تعلمهما بعزمها على الزواج. كانت ترهب ردة الفعل عند نول. انه رب العائلة في اليونان. وكما تقتضي العادات عليه ان يجتمع بالرجل الذي ترغب الزواج منه ويعطي موافقته.
كانت تعرف انه يود ان يقدمها بنفسه لعريسها يوم الزفاف. كان يتمنى ان يقدمها الى نيكوس... وعندما يستلم برقيتها سيظن ان تسرعها في الزواج ردة فعل مباشرة على زواج نيكوس.
كانت حزينة بعد خروجها من مركز البريد والبرق. هل هي تتزوج لوكاس فعلاً كردة فعل على زواج نيكوس؟ هل فكرت مليا بالحياة التي ستعيشها في المنزل الكبير المنعزل في خليج التنين حيث شقيق لوكاس المقعد في الكرسي المتحرك هو سيد المنزل؟
القت نظرة على يدها اليسرى حيث خاتم الخطوبة. واكتشفت كيف كانت اللؤلؤة تأخذ شكل دمعة كبيرة على وشك السقوط.

كانت قد خرجت لتبحث بين المتاجر عن ثوب لحفلة الزفاف.

ووجدته أخيراً واشترت معه قبعة علاها بورود مخملية بيضاء وفي وسطها خرزات بسيطة. وشربت قهوتها وقالت [illegible] ثم أعطت اسمها وعنوان الفندق إلى البائعة كي ترسل إليها مشترياتها إلى هناك. قالت لها البائعة:

- إنه ثوب عروس. هل ستتزوجين الآنسة؟

هزت كارا رأسها إيجاباً وسألتها البائعة:

- هل أعرف العريس؟ أنا متأكدة أني رأيتك مع السيد سانفلج...

- نعم. هو العريس. سنتزوج الأربعاء بعد غد.

قالت ذلك وخرجت. ركضت البائعة إلى داخل المحل لتخبر صديقتها بالأنباء الجديدة.

قال لها لوكاس حين التقاها في مطعم غرفة الطعام:

- سيحضر عرسنا أشخاص قليلون ومهمون. وسيجعل منك لوكاس سانفلج امرأة محترمة يا حبيبتي.

يا حبيبتي... قالت في نفسها، لو أنها بدون هذه [illegible]

[illegible]

لكنت وجدت نفسك حزينة الآن وجرحة كثيرة من الشرائط والدانتيلا وسط ثياب من خزانة العائلة.

- كان شغلي حين سيحضرني في الكنيسة إلى زوج المستقبل.

- آسف لعدم وجود الشرائط وخزانة العائلة وسيحضرها حولك.

- إني آسفة فقط لغياب [illegible] في هذه المناسبة السعيدة. وماذا عن عائلتك يا لوكاس؟ ألن تحضرها لتحضر حين تعود إليه قريبا وتعلن عروستك؟

- لا أظن ذلك. بوليد ينتظر زواجي بفارغ صبر ويشغلني كثير لا يتم الا بحضورنا. أما روز فسيجب عليها الأمان في حضور الزفاف. كم تحب هذه الطفلة الحياة المرحة ولا يوجد في منزلها مرح كاف.

وضحكت كارا فنجان قهوتها ونظرت إلى زوج المستقبل باستغراب.

- كان تمكنك أن تخبرني قبل الآن أن لك شقيقة تعمل في البحث. ومن

تكون روز؟

- روز طفلة صغيرة في الثالثة من عمرها. تعيش معنا في المنزل. وجدناها على باب المنزل طفلة رضيعة. تركها والداها بصندوقها الصغير تحت وجدناها. وربتها شغلتي برلند. لو كانت صبياً...!

توقف لوكاس عن الكلام وهو عابس. وطلب من الخادم أن يعطيه الفاتورة. دفع ما عليه ثم خرجا سوية يتمشيان ووجهتهما الكنيسة في أعلى التلة. مشت كارا قربه صامتة. كانت ضربات قلبها غير منتظمة وتذكرت قوله... لو أن الطفلة روز التي تبناها أخي كانت صبياً... قالت في نفسها: أيمكن لوكاس يحتاجها للزواج من فتاة لا يعرفها حق المعرفة وربما لا يحبها

وتوقفت عن السير. كانت تلعب بخاتم الخطوبة في أصبعها. قالت بحنق:

- لا أستطيع أن أكمل الزواج يا لوكاس. عليك أن تجد فتاة غيري

[illegible]

[illegible] كان وجهه غاضباً وعيناه بلون البحر الهائج

- لقد وعدتني بالزواج دون الاشتراطات وسوف تفين بوعدك!

احتفظ بيدها في يده حتى وصلا إلى الكنيسة. وبعد نصف ساعة خرجا بعد أن اتفقا على جميع ترتيبات زواجها من لوكاس يوم الأربعاء صباحاً

في طريق العودة كانت كارا تراقب الفراشات تتنقل وتمتص الأزهار بأجنحتها الخافقة. كانت ترغب أن تطير مثلها حرة من جديد.

قال يداعبها:

- عندما نأتي مرة ثانية في هذا الدرب، سنكون زوجاً وزوجة.

قالت ترد دعابته:

- أعتقد أن ثمن الزوجة كان يساوي أربع نقرات في زمن نبال الفرسان

ضحك ثم قال:

- أفكرة الجبين تحسك يا قلبي. كعيشة الفرسان الرانجي؟ ستنسجمين

في العيش مع رو. انها تشعر بحقيقة ان آل سالفلج يعودون بأصولهم الى البحارين في الوستر. وتعرف ان سلالم المنزل الكبير مصنوعة من خشب سفينة قرصنة اسبانية تحطمت على الصخور في خليج التين.

قالت كارا:

- رو اسم قاس لفتاة صغيرة.

- لا شك ان امها كانت غاضبة جداً حين تركتها. انا اسميها رو يعني البتلة المقدسة وهي فتاة رشيقة مرحة.

- كم اتمنى ان التقيها يا لوكان.

- وجود طفلة صغيرة في المنزل سيساعدك.

شد على اصابعها كأنه يذكرها بمهمتها الاولى لزواجه منها ... السحاب الموروث العالقة العريقة.

لسرح نفسها وهي تقول في نفسها ... بعد فترة وجيزة من الزمن سيصبح هذا الرجل الطويل، الجذاب، المرهق زوجها وحبيبها!

استفاقت كارا صباح الاربعاء على زقزقة العصافير. اليوم ستصبح زوجة لوكان سالفلج. مرت الساعات الفارغة من الصباح سريعة وتناولت فطورها وحدها. عليها ان لا تلتقي لوكان قبل الذهاب الى الكنيسة. بدأت ترتدي ثوبها في التاسعة وكانت قد غسلت شعرها في اليوم السابق. ورفعت الاقراط الذهبية من اذنيها فاستبدلتها بالاقراط اللؤلؤية التي اشتراها لها لوكان. قال حين قدم لها علبة الاقراط:

- لقد ارتفع ثمن العروس في هذه الايام.

كان شكلها بثوب الزفاف ذي القبة العالية كراهبة صغيرة على وشك ان تقسم اليمين. وابتسمت واثقة من شكلها في المرآة. قفزت حين قرع الباب. وتنحنح. كان تاب يحمل لها باقة الورود البيضاء والصفراء التي طلبتها منه لتحملها معها عند الزفاف. وقف يحدق بها كأنه لم ير عروساً من قبل وقال:

- وصلت هذه الرقعة لك يا آنسة.

- انتظر يا تاب. ارجوك.

قرأت الرقعة. كانت من بول. يتمنى عليها الزواج من رجل لا يعرفه ويأمرها بالعودة فوراً الى [illegible].

لم يرسل لها حبه ولا تهانيه. وبدأت تبكي ثم مسحت دموعها بسرعة لان ذلك يجلب سوء الحظ. ذهبت الى حقيبتها واخرجت ورقة وكتبت:

- عزيزي بول. حين تستلم رسالتي اكون قد اصبحت زوجة لوكان سالفلج. ارجو ان تسامحني وتتفهم الموضوع. اطيب المحبة ... كارا.

طوت الرسالة واعطتها لتاب مع بعض المال. وطلبت منه ان يرسلها في الحال. سقطت دمعة على الرسالة وكأنها عادت نفسها وامسكت باقة الورود فاغرقت وجهها فيها. كانت الورود البيضاء ترمز للطهارة والبراءة والورود الصفراء للشفاء والمحبة.

قبل العاشرة بربع ساعة حضر تاب ليحمل لها حقائبها الى سيارة الاجرة التي ستقلها الى الكنيسة. وكانت قد نقلت الورود المتعلقة في اليوم السابق. ازالت السلالة من غرفات الفندق الملأى بالمتفرجين والفضوليين. قالت لصاحب الفندق:

- تعال معي الى الكنيسة يا تاب.

فصعد قربها على الفور. كان من الغريب ان يصحب العروس خادم الفندق في طريقها الى الزفاف.

كان تاب يثرثر معها بلغته الفرنسية الغريبة وهما في طريقهما الى الكنيسة. وشعرت كارا كأنها مخدرة. بقيت على هذه الحال من الجمود طيلة الاحتفال كله. كأنها في حلم وهي تقف بجانب لوكان.

- كانت الزهور تملأ المكان وعلى جانبي المذبح باقات كبيرة من الزهور الاستوائية. لقد رتب لوكان امر وجودها بنفسه. ونظرت اليه شاكرة. كان منتصباً بقامته الفارعة وربطة عنقه معقودة فوق قميصه الابيض بينما يضع في عروته زهرة صفراء. تلاقت عيناها حين التفت مبتسما، نحيفا ووجهها على ابتسامة دافئة. هذه الابتسامة جعلتها تشعر بأنها ليست وحيدة بل معه الى الابد.

٤- نهر بلا عودة

صعد لوكاد وعروسه كارا في مرفإ في خليج التين فوق طوافة خشبية تنساب على النهر عبر طرق وحشية [illegible]. العصافير الملونة كأنها جواهر حية تطير حرة في الغابة الخضراء تحت الزيزفون الخضراء المتدلية كأنها حيات. وأعلام الأدغال الوحشية الكثيرة تنمو بكثافة وبين فترة والأخرى [illegible] تحت شلال صغير يصب الماء فوق الطوافة المصنوعة من أخشاب [illegible] والقصب.

كان البحار الكاريبي الذي يقود الطوافة يقف منتصباً في جانبها الضيقة كأنه عفريت. وجهه ذو عظام عالية وعيناه تلمعان تحت شعره الأشعث الأسود. كان لون الجسم أسمر كالنحاس يشبه تمثالاً منحوتاً. أما مجاذيف الطوافة فكانت مرصعة بالأصداف وقطع الزجاج الملونة، تلمع كلما التقت أشعة الشمس في حركتها صعوداً ونزولاً.

قال لوكاد مخاطباً كارا وهو ينظر الى النوتي:

- أظنه من أكلة لحوم البشر.

وابتسم قليلاً بعد أن لاحظ ارتعاشها وخوفها. ورمى رماد سيكاره في الماء.

- يمارسون الحب ببساطة. حين تعجب أحدهم فتاة يدعوها الى الغابة حيث يتزوجها عنوة على طريقة المحاربين القدامى. بعد ذلك تصبح له الزوج بها على الطريقة [illegible].

بدأ النوتي ينشد أغنية قديمة تناسب البيئة الوحشية التي تمر بها الطوافة وتهتز ما كارا مع كل ضربة من المجاذيف الزخرفة.

- انه ينشد أغنية لمناسبة زواجنا!

جلس لوكاد متكاسلاً في مقعده المنخفض وقد مدد رجليه الطويلتين وقميصه الحريري يلتصق بعضلات صدره وكتفيه. وبدت حنجرته القوية من فتحة قميصه بعد أن نزع ربطة عنقه ومياه النهر تنعكس في عينيه الخضراوين. ثم سألها:

- هل ... أنت تشعرين بأنك غريبة يا سيدة سالدنج؟

هزت كارا رأسها ايجاباً وقالت:

- حين تغرب الشمس أصبح اسوأ من السابق.

سألها وقد ضاقت عيناه:

- وهل تتطلعين الحياة معي أن تكون اسوأ؟ انني لست فتى غريباً يا كارا لأركع تحت قدميك وأعدك بالجنة. ولكن حياتك معي على الأرض لن تكون ملك، وانا أعدك بذلك. انني أعمل وأكد وأريد زوجة تنتظرني حين أعود من عملي في حقول القصب مع غروب الشمس. فكرت... اي زوجة لا فرق لديك. وتحولت بنظرها الى العصافير البيضاء المتجمعة حول نساء يقمن بغسل الثياب على ضفة النهر حيث المياه تندفع بقوة. كن يستعن بالصخور المكورة لنشر الغسيل تحت أشعة الشمس. وسألته:

- متى نصل الى خليج التين؟

- غداً قبل الظهر.

رمى عقب السيكارة في الماء وأضاف:

- لن نكمل سفرنا في ظلام الليل كما اعتقدت انه أفضل. لأن النهر يشتد هيجانه كلما اقترب من البحر. سنخيّم في الغابة قبل الغروب.

تسارعت ضربات قلبها ... انه سيقضي ليلة الزفاف بين الأشجار الكثيرة ذات الأوراق الخضراء والتي يمكن أن تخفي خلفها محاربين، أخطاراً مجهولة...

- كم أتلهف لرؤية البيت الكبير. هل أبرقت الى أهلك يا لوكاد؟ هل يعلمون أنك ستحضر معك عروسك؟

قال متكاسلاً:

- لا، فكرت أن أفاجئهم.

لم توافقه الرأي فهي لا ترغب في الوصول دون انتظار. ربما تكون

مفاجأة غير سارة.

- كان من اللياقة أن تحترم تقدمي. وعالي يروق شقيقتك التغيير في تدبير المنزل في آخر لحظة..

- كلير؟ ضحك قائلاً: إنها لا تهتم بتدبير شؤون المنزل. ذلك متروك إلى دامرينق منذ كنت رضيعاً. كلير خارجة عن المألوف. إنها تعيش لقلبها.

- فهمت الآن. أتعجب ما الذي سيقوله أهلك عني؟

قالت ذلك ومدت أصابعها تعبث في الماء قربها.

حدق في وجهها الرقيق وشعرها الذي فوق رقبتها وعنقها. التقت نظراته بنظراتها. فابتسمت وشعرت بحمرة الخجل تصعد إلى وجهها قال:

- لديك سحر يوناني وحشي. ستستعطفه لقتل التين

تمتمت:

- التين؟

- التين هو شخص يراه. أتذكرين؟ إنه مقعد لا يستطيع أن يركب الحصان أو يسوق الشيطان الذي يلحق بال سائح

- أشعر بالخوف يا لوكان. قلت لي إن الأقوياء والقساة وحدهم يستطيعون العيش في خليج التين. هل سأكون أنا قوية بما فيه الكفاية؟

- حتماً. كان من الشجاعة والجرأة أن تقدمي على الزواج بي يا كارا. على فكرة، هل استلمت جواب رسالتك التي أرسلتها لشقيقك؟

هزت كارا رأسها إيجاباً وشعرت بقلبها يهبط من مكانه.

- أخبريني. ماذا قال؟

- أوه. كالعادة...

وحاولت أن تتهرب من الإجابة.

قال بإصرار:

- أريد الكلمات بحذافيرها يا كارا.

- حسناً. لقد منعني من الزواج من رجل لا يعرفه وأمرني أن أعود فوراً إلى أنتيبوس.

وإذ صمت كلاهما دخلت بهما الطوافة في عتمة مفاجئة. كان نفقاً غريباً من الأشجار الكثيفة ثم خرجا ثانية إلى النور. وأغمضت كارا عينيها تلقائياً تفادياً للنور بعد الظلام.

- قال بولس سيبحث هذه الورقة كأنك من كان الشخص الذي سأتزوج.

- لكنه كان سيوافق على نيكوس المحترم.

ضحك لوكان وأمسك يدها يتفحص خاتم زواجها الذهبي والخاتم الذي تشبه لآلئه دمعة متساقطة.

- ربما عن أنك تزوجت بي كردة فعل على زواج نيكوس. هل فعلت ذلك؟

ترك يدها وبدأ يمشي فوق الطوافة ذهاباً وإياباً. ووقف قرب البحار الكاريبي هنا يتكلم معه بلغته.

لوكان زوجها الآن ومع ذلك فهو غريب عنها. إنه يثير فيها شعوراً غريباً يمتزج بالخوف. هذا المزيج حذرها وأفقدها حواسها. ربما هو الشيطان وقد احتل قلبها..

بدأت الطوافة تقترب من الضفة الشمالية. وصرخ البحار شيئاً فأسرع لوكان وأمسك بالمجاديف بقوة وشرع يجذف. قفز البحار إلى الشاطئ واختفى بين أوراق الأشجار.

سألت كارا:

- هل من مشكلة؟

- لا. لا.

قال ذلك وتوقف عن التجذيف وبقيت الطوافة ساكنة في مكانها.

- لقد تعبت جداً في الطريق. وإذا ساعدنا الحظ سنحتفل بوليمة بمناسبة الزفاف.

صرخت تألماً للضحية البريئة وقالت:

- هل هو عشاؤنا؟

فتشدق لوكان قائلاً:

- إنه وليمة زفافنا!

وعاد البحار ومعه شاة برية صغيرة. ربت لوكان على كتفه مهنئاً. وعاودت الطوافة سيرها بين البحار المتوحش ووجهها يتشدقان أغنية بدائية مثل الغابة التي تلفهم..

مالت الشمس للمغيب. وبدا البحار الكاريبي كأنه هيكل برونزي.

كانت الطوافة تتجه إلى خليج رملي.

- هذا هو الخليج الفرنسي. في قديم الزمان كان مركب قرصان شهير يختبىء في هذا الخليج. وهرب قبطان المركب مع احدى جداتي. كان القبطان رجلاً جذاباً وشريراً... ولما التقت البحرية الفرنسية جدتي وعادت بها وهي تزأر مسرورة.

كانت نظرات لوكاس عابثة وهو ينظر إلى كارا. وقفز إلى الشاطىء ليربط الطوافة بصخرة قوية وقد شد الحبل الثخين حولها...

بدأوا بتركيب المخيم. وقذفت الشمس آخر شعاع لها فوق البحر كأنه لسان من اللهب الأحمر. تلك أبهة بعصبية ثم عم السواد. وفي مكان ما غرد عصفور صغير أغنيته المسائية.

فرشت كارا البساط المهلهل قرب نار المخيم التي أشعلها لوكاس بمودة. وكان البحار جورجيوس يذبح الشاة ويسلخها ليشويها فوق النار المشتعلة. ووضع بعد ذلك، قليلاً من الفاكهة الاستوائية لتشوى على جوانب النار.

- انه مكان مثالي للتخييم. يوجد هنا مخزن طبيعي للثمار. تعالي أريك.

تبعت لوكاس إلى داخل الغابة وعلى الفور أحست بانفرادها معه. قفز قلبها من مكانه. وأوقد المشعل الذي حمله معه في جذع شجرة كبيرة. وعلى ضوء المشعل رأت كارا الفاكهة تتجمع بكثافة تحت الأوراق.

ناولها لوكاس المشعل وبدأ يقطف الثمار المعلقة فوق قدمه القارعة. وأخذت كارا قميصها القطنية فجعلتها سلة وملأتها بالفاكهة الاستوائية اللذيذة. وعادا إلى المخيم يحيط بهما كورال من الضفادع والجنادب ترتل بأصواتها الرتيبة.

كل شيء هنا جديد ومثير. انه عالم غريب من الصوت والظل. كانت تشارك لوكاس فيه بكل حواسها وهو قريب منها يساعدها في طريقها ويخلصها من الأغصان التي تعلق بها. وكلما لامسها بأصابعه كانت ترتجف وتسرع ضربات قلبها. ستنام الليلة بين ذراعيه تحت أشعة النجوم في هذا المكان الوحشي. وسيتم تقاليد آل سافدج. شعوره بالواجب تجاه هذه التقاليد هو الذي أجبره على الزواج...

- بماذا تفكرين؟

كانت ستخبره وسط العتمة. كانت ستسأله ان يتركها وشأنها لانه لم يكن

يريد حبها

- احب ان امتع نفسي بحمام في النهر. الماء يغريني.
- صحيح. المياه منعشة وباردة.
- هل تسمح لي بالنزول يا لوكاس؟
- طبعاً. انت عروس مطيعة.

ضحكت ومرّ بابهامه فوق خدها.

- كنت اتساءل ان كانت ثمة للاحتفال فيها.
- اكثر اماناً من الزواج من آل سافدج. العشاء لم يجهز بعد واظن اني سأشاركك السباحة.

لبست كارا ثوب السباحة خلف الاشجار على الضفة. وانتعشت احاسيسها كلها بفعل البرودة والظلام حين دخلت الماء. كم مرة سبحت مع نيكوس ليلاً في الديلوس... كانت حرة تمرح ولم تفكر بالمستقبل مرة...

ما أغرب مفاجآت الحياة. تكاد لا تصدق الحقيقة التي تعيشها وقرصت نفسها لتتحقق من أنها ليست في حلم. البحر. النجوم. الغابة كلها حقيقية. حقيقة اغرب قربا... هذا الرجل الذي يسبح معها في ماء النهر البارد وقد لفها بذراعيه القويتين. حاولت التخلص منه

- ما هذه العروس العصبية! اتركها تهرب ثم تعود السباحة حولها. هذه المرة لم تقاومه بل تركت نفسها ترتاح بين ذراعيه. كانت متعبة وخفيفة وهو يحملها إلى الضفة ثانياً ويضعها فوق الرمال. احست بيده فوق كتفيها ثم ضغط بوجهه فوق وجهها يعانقها وقال: دعينا ننسى الغد وخليج النبي. لننس كل شيء. لنتظاهر بأني تزوجتك لنفسي.

* * *

- دعنا نكن صادقين مع أنفسنا يا لوكاس.

قالت كلماتها هذه من قلب جريح تشبه صراحته معها.

- تزوجتك لأن كرامتي أهينت يوم تركني نيكوس ليتزوج من امرأة

احترق. وانت تزوجتني من اجل التقاليد ورايك. نحن متعادلان.
عم الصمت للكلا. سوى صوت احتطاب الزريب وصوت ضربات قلبها في أذنيها. تركها لوكان تلدة ووقف شامخاً فوقها. وجهه قاس ويداه في جانبه. وبعدئذ قفز الى النهر وسبح في الماء البارد.
تركها ممدة فوق الرمال قبل ان يتقدم لها حينه. لم تطالبه بكلمات غزل مطلقة زواجها الآن منعها كأنها سجن. ومشت الى النهر وهي تقول في نفسها: افرحي وهللي يا كارا فاليوم يوم زفافك. انظري وشاركي عريسك حياته. شاركيه طعامه وشرابه ومنزله. ولكن ليس قلبه...
سوى الشواء وكذلك البطاطا الذيذة الطعم مع رائحة الاعشاب والتوابل اللذيذة التي تثير الشهية. كانت كارا وهي تمسك اللحم باصابعها تحبث كل شيء.
ونظرت الى زوجها بعد العشاء. كان يستمتع بالاغنية التي كان جوليوس ينشدها.
كانت قدمها تعود الى أسرتها التي تاهت في السعر الكاريبي.
لقد جعلها القدر تدخل غرفة لوكان في فندق هاكتون وغداً ستدخل معه عتبة البيت الكبير. سيحملها بين ذراعيه كزوجة لتدبره القريب وليس كزوجته المحبة.
احست كارا بحيوان يرجف قربها. كان قريباً جداً من النار ويشبه الجرو. كانت ترافقه بهلع. قال لوكان:
- لا تكوني عصبية يا كارا. ان الجرو الصغير لا يؤذي.
سأل جوليوس:
- هل تشربه للقطور؟
هز لوكان رأسه نفياً وقال:
- مع الحلوى وشاله. انه يذكرني بالشاي الرويزي في منزلنا فوق الهضبة مثل الشاي بالماء في داخل الغابة. وأحست كارا انه قادر يهددها. انه ليس الا ساقاً الذي يكره عرائس المثالية. ارتعشت للفكرة. ولاحظ لوكان ارتعاشها فصب لها فنجاناً ساخناً من القهوة. شكرته وامسكت الفنجان بكلتا يديها وهي تتلذذ بطعم القهوة.
- انتظري حتى تذوقي الشوكولا الساخنة في خليج التين. نحن نضيف

ايها الفرقة والكريمة حسب وصفة عريقة في القدم. الى احبها منذ كنت صغيراً.
الكهر وجهه وهو يتذكر صباه. وتذكرت كارا والدته التي كانت تفضل برايه عليه. انه الصغير الذي احبها وانها عند الوضيع. كان مريض الكرين، كثير الحركة وعصبي المزاج. ولم يذكر لوكان والدته امامها سوى مرتين. في المرة الاولى قال انها تركت الاصل. وفي المرة الثانية ذكر ضربة سوطها فوق خده يوم الحادث المشؤوم.
قشر لوكان ثمرة الوكادو وقطعها ثم حمل قطعة منها فوق سكينه وناولها اياها. اخذتها منه بفرح وتمنت لو تمضي كل أيامها ولياليها معه هكذا. في تنسى العالم بأسره.
جلس جوليوس يدخن سيكاراً بعد العشاء. ولما انتهى حمل بساطه ونهض:
- مساء الخير يا سيدي لوكان. مساء الخير يا سيدتي.
وسار الى الطرقة لينام فيها تاركاً اياهما قرب النار.
قالت كارا وهي سارحة بأفكارها:
- انه عشاء فاخر
- لم نشرب بعد نخب زفافنا!
وبعد ان شربا نخب زواجهما مشى لوكان نحوها. مددها فوق البساط ولفه حول رجليها بحنان ووضع سترته الملفوفة تحت رأسها على شكل وسادة. كانت السترة مشبعة برائحة دخانه وبعطر الزهرة الصفراء التي ما تزال في عروة سترته.
- نامي. سنبحر باكراً الى خليج التين.
اعترضت:
- لوكان...
- نامي واحلمي بصديقك الفتى الذي لم يفرحك بحنانه ولكنه جرح قلبك.
- اوه. لوكان...
- عزيزتي. لن يبقى الخصام في فراشنا الى الابد. اعدك بذلك. انك متعبة كثيراً. غداً يوم جديد آخر وتنتظرك احداث جديدة... هل انت

دافئة؟

أجابته:

- كالقطة الصغيرة.

- أتمنى لك أحلاماً سعيدة.

انحنى وعانقها بشغف. وبينما غفت كانت «الزهرة الصفراء» في حديقة صدره قد تفتحت. . .

٥- خليج التين- البيت الكبير

كان القطار سمكاً اصطاده جوليوس من النهر. وبدأوا النصف الآخر من الرحلة مع بزوغ الفجر الجميل ترافقهم بعض الغيوم. الاخضرار في الغابات الخضراء الكثيفة يلفهم والطيور تحلق سرباً فوقهم. والنهر ينساب كشريط حريري ناعم يأخذهم الى خليج التين. . .

- كل شيء هنا يختلف عن بلاد اليونان. هناك الأرض قاحلة والتربة لا تعطي الا نادراً. أما هنا فكل شيء أخضر خصب.

التفت نحوها كارا عيني لوكاك الخضراوين كأوراق الشجر. وتذكرت ساعة استيقظت صباحاً في المخيم. كيف وجدته نائماً، نصفه تحت الستار والنصف الآخر مكشوف. كان يغط في نومه تكسو وجهه براءة الطفولة.

وبدا الآن وهو واقف فوق الطوافة الخشبية برجليه الطويلتين قريباً من الحبال. تغمر الشمس شعره الأحمر كأن فوق رأسه خوذة برتقالية، وكل عضلة في جسمه مستعدة للنضال.

هل الزواج من رجل مثل لوكاك يوفر الاستقرار والدفء والمحبة؟ هل يوفر الجنة؟ هل يبدد الخوف والرعب اللذين يصحبان بداخلها ويشعرها بالحب الحقيقي؟ حدقت كارا بلوكاك وعضت على شفتيها. . . لن يكونا قريبين. ان أشياء عديدة تفرق بينهما. أمها تميز ولاءه تجاه والد. أما لما تعلمه كل تصرفاته. وهي الدافع الرئيسي لزواجه منها بدلاً من أن يكون الدافع الحقيقي الحب الذي يربطهما. حين يكون لهما ولد سيمنحانه البيت الكبير لتكسر التقاليد العائلية لأن سمعتي وتتواصل مثل النهر.

كان النهر يجري سريعاً عند المنعطف وقد أصبح عريضاً حيث يلتقي

البحر. بدأت الصخور تظهر. واتجهت الغابة الخضراء الى الشمال وبدا البحر أخضر بلون عيني لوكاك. شعرت به يزداد عصبية كلما اقتربوا من خليج الذهب وتظهر عليه علامات الانفعال والترقب.

ـ نحن نسير الآن مع التيار الى داخل الخليج. تمسكي جيداً لأن هذا الجزء من الرحلة قاسٍ وصعب...

كانت الأمواج تتقاذف الطوافة والمياه مالحة داخل الخليج. وقادها جوليوس بمهارة بين الصخور قرب بحيرة ضحلة كانت مياهها كالزمرد الأخضر الشفاف. وفوق البحيرة مباشرة كان المدخل الرئيسي للبيت الكبير. بيت التين. وبدا شامخاً قوياً يتحدّى السنين ويوحي بالغموض والتأمل.

حبست كارا أنفاسها رهبة امام فخامة حجمه. كان مبنياً فوق الصخور يتحدّى كل عوامل الطبيعة وشرورها. نوافذه تلمع كالنقود واحست كأنها تستقبل العروس الغريبة.

كان رذاذ الماء قد ملأ عينيها وغطت حبّاته شعرها الأسود. ونظرت الى لوكاك الذي كان يتأمل البيت الكبير بعينيه. لقد خلع عن وجهه كل أقنعته وبدت نظرات العذاب واضحة عليه في مزيج من الحب والكره. شعرت كارا بالحسد يأكلها. كيف تغار من حبه للبيت الكبير؟

سحب جوليوس الطوافة الى ممر حجري بجانب البحيرة وقفز ليربطها جيداً بالحبال المبللة. واحست كارا بذراعي لوكاك حولها كالفولاذ. حملها بين يديه من الطوافة الى الممر الحجري المحاط بأشجار مرجانية وأزهار بحرية تجمعت فوق الماء امام مدخل البيت. كانت الدرجات الأولى الى حجرية كبيرة تشبه أقدام العمالقة.

قال لوكاك وهو يصعد بها اولى الدرجات والماء يغمر كاحليه:

ـ نسميها سلالم التين.

كانت تمسك بكتفيه حتى وصل بها الى الدرجة الرابعة حيث انزلها لتقف على رجليها.

ـ هناك مدخل آخر للمنزل. وأشار الى الصخور العالية في الجهة الأخرى.

ـ لقد حفر المهندسون نفقاً وسط الصخور في أيام جدي ووضعوا

مصعداً حديثاً كمصعد عمّال المناجم. المصعد مريح ولكنه لا يؤمن المنظر الرومنسي الذي نحظى به ونحن نصعد سلالم التين.

رأت كارا جوليوس يحمل حقائبها الى البيت. نظر اليها وابتسم. كان جوليوس يعود بأصله الى قبيلة همجية شرسة وحبه للوكاك حب الصديق لصديقه وليس الخادم لسيده فالدم الايرلندي في عروق زوجها لا يحتمل استعباد الناس بعضهم لبعض، ونفسه الفخورة لا تقبل الصيغة

فحفظ السلام سرّية ولاحست كارا بغضب أوراق العرائش الخضراء وهي في طريقها الى مدخل البيت.

كانت تتعجب من جمال الطبيعة الخلابة وهي تمشي كأنها تتعرّف بعطر لأول مرة الى المجهول.

البيت الكبير بلون الذهب يلمع تحت وهج الشمس. مرتفع وشامخ بكبريائه وغطرسته الى سالفيه الأوائل الذين تحدّوا كداهيهم في هذه الأرض الى أنبتت قصب السكر الأبيض والكاكاو والتوابل لتغزو منازل العالم.

كانت سلالم تصف مستديرة تصل الممر بالمدخل الرئيسي، فما أصعدها متجمعة في الساحة امام الباب الخشبي الكبير حيث حفرت شارة التين فوق الحجارة وامتد تنحدر الى سالفيه. وفي أعلى العواميد ورود مزخرفة يانعة كأنها طبيعية تحت ضوء الشمس. وفي الطوابق الثلاثة العديد من الغرف لها شرفات ونوافذ كبيرة كالأبواب. البيت يشبه الهيكل تتدلى منه نباتات معلقة أزهارها متفتحة. ويبدو سهول الكاكاو في مؤخرة البيت.

اشعل لوكاك سيكارة وقال:

ـ الخليج الأيسر يطل على البحر والخليج الآخر يطل على حقول القصب. تملك يا كارا كل شيء ترينه: برفقة يملك المنزل والأملاك وانا املك الولاء والطاعة له.

قالت وهي تتنفس بصعوبة:

ـ كم هو رائع.

ـ ستعتادين عليه. تعالي. سندخل من هذا الباب.

أشار الى اليمين وصعدا درجات قليلة وسط الساحة. ووصلا الى باب كبير فتحه لوكاك بعجل ودخلت كارا الى القاعة الكبرى في البيت الكبير. رأت كارا التين البرونزي فوق رف المدفأة. وكذلك الكأس الذهبية

التي هي أقدم من المنزل. هذه الكأس التي ربحها آل سافدج الأشداء ليشتروا الأرض التي زرعوها. ومع الوقت استرقوها بعد أن بدأوا يجنون الثروة الطائلة من زراعة قصب السكر. كانت تنظر حولها مندهشة:
- إنه كقصور الملوك يا لوكان. أنا... أنا لم أتصور أنكم عائلة غنية جداً.

ضحك لوكان وهو ينفض رماد سيكاره في المدفأة وقال:
- زمن أسلافك آل سافدج أفخر أنواع الكريستال واللوحات الزيتية من صنع كبار الفنانين قد انتهى يا كارا. نحن نحصل على مدخول معقول من الزراعة. تلك الأيام مضت إلى غير رجعة حين كان السكر هو طعام الأغنياء وزراعته توفر الثروة الطائلة، كما حصل لأجدادي هنا.
وأشار إلى صورة شاب معلقة في القاعة. إنه شديد الأناقة وقد عاش في عصر سابق. وله عينان داكنتان كعيني لوكان. قال:
- إنه أحد أجدادي.
- هل أنت وشقيقك توأمان لا فرق بينكما؟!
كان هذا سؤالها الوحيد.
- ستعرفين بنفسك الشبه بعد قليل.
قال ذلك ورفع الكأس الذهب.
- إنها عادة من عادات آل سافدج أن يشرب العروسان نخبيهما إلى خير ومنفعة هذا البيت. سيقدم لنا برايد، رب البيت، الشراب في هذه الكأس وسنشرب منها ونقسم على ذلك. هل أنت مستعدة يا كارا؟
- لقد تزوجتك يا لوكان وسأشاركك حياتك. أنا أفهم ما تعنيه التقاليد والعادات وروابط القبيلة لدى اليونانيين. نحن أيضاً نعطي لرب البيت سلطة فوق كل اعتبار. سيغضب شقيقي بعض الوقت قبل أن يسامحني لأني تزوجت دون موافقته...
- أنا آسف لما حصل.
مشى إليها وشد على يدها. وأحست أن باباً خلفها قد فتح في آخر القاعة. سمعت دوي خطوات المتحرك تسير فوق الخشب. ثم قربها شيء أسود ضخم ووصل إلى لوكان يسلم عليه. كان ذلك كلباً كبيراً وضع مخالبه على كتفي لوكان وعيناه تلمعان بالمحبة.

- أنت محبوب كثيراً.
كان لوكان يداعب كلبه بحنان، وكارا تسمع اقتراب الخطوات نحوها وهي تسير ببطء. استدارت.
التفتت كارا نحوه ووجدت نفسها تحدق بداخلها. وجهه جميل وأنم له ملامح حزينة وقد غطى الشيب رأسه الأشعث. كان مقعداً في كرسيه الذي يبدو كالعرش وقد جعلها تشعر أنها هي الضحية.
- وصلتني الأنباء السيئة البارحة يا لوكان. لقد تزوجت في فورت لوراند.
كان صوته عميقاً، وأضاف:
- أرى أن الكارثة العرابية الرقاصة قد هللت فرحاً لك ولزوجتك كاريس:
عم القاعة صمت رهيب. ولف لوكان ذراعيه حول كارا بحنان. فكرت كارا في نفسها... ألا يرى برايد أن يعود لوكان بزوجة تدعى كاريس؟
- هذه كارا. التقينا في فورت لوراند منذ عشرة أيام بعد رجوعي من باريس. كارا يونانية.
- فهمت.
نظر برايد إلى كارا لترى تأثير كلامه عليها.
قالت كارا في نفسها... من هي كاريس؟ إنها ولا شك فتاة باريسية كان يأمل لوكان أن يتزوجها.
وقال برايد:
- أهلاً بك يا كارا في خليج التنين. لقد حان الوقت لامرأة صغيرة أن تربي الأولاد في هذا البيت الكبير. عندنا رو العصفورة ولكنها تحتاج لمن يلعب معها. هل أخبرك لوكان عنها؟
- نعم يا سيدي.
كانت ما تزال تشعر بالبرودة رغم وجود ذراعي لوكان حولها. لم يخبرها عن كاريس ولم يتركها تكتشف غرابتها بنفسها...
- إني أتلهف لأتعرف إلى رو وكاثي.
قال برايد:

- ورو عندها عرس الآن. فما أكثر ما أصبح نفسها رجالاً من الحجارة لا يمكن الرد على أسئلتها أو حتى جرح قلبها.

- تبدو أكثر حساسية للعادة وليس من الحكمة دائماً أن تكون المرأة رومانسية.

- أنك رومانسية على ما أعتقد.

قال برايد وهو يشير إلى مقعد قرب النافذة يشرف على الساحة. جلست كارا عليه بينما جلس لوكاك في مقعد وثير ووضع كلب تحت رجليه. التوأمان متشابهان كلياً ولكن الشيب في رأس برايد يجعل عشرات السنين تفرق بينهما.

كانت عربة طعام في طريقها اليهم مع الخادم الرئيسي الذي يرتدي سترة بيضاء. تناولوا القريدس مع كعكة القهوة التي تذوب في الفم والقهوة الساخنة. وقال برايد:

- أعطيتكم جناح العرسان... الجناح الأبيض الذي يطل على البحر. جناح الزمرد. انك مغرمة بالبحر يا كارا!

- لقد ولدت بجواره. أحب صوت الموج المتكسر فوق الصخور ومنظر الزبد الأبيض، وخصوصاً في الليل.

حين تكلمت عن الليل رأت برايد يراقبها عن كثب. ماذا يظن بها؟ إنها نحيلة جداً تشبه الطفلة وربما لن تنفع في المهمة الموكلة اليها... تأمين الوريث لآل ساندج.

قال برايد:

- انت. قبل عشرة أيام كنتما عريسين؟ انه غرام صاعق.

قال لوكاك:

- تقريباً. أظن ان كارا ترغب في الصعود الى غرفتها لترتاح. أمضينا ليلتنا البارحة في الخليج الفرنسي. نما على الرمال. لم أرغب في المجازفة في عبور الخليج ليلاً.

واستغرب برايد:

- انت يا لوكاك حذر؟ علينا ان نبحث في بعض الأعمال التي أعدتك الى باريس. من المستحسن ان تتركنا كارا. ان الأعمال تضجر الجنس اللطيف.

احست كارا ان برايد جارح في كلامه مع لوكاك. ربما لشعوره بالضجر والخمول مع انه قوي جداً... من آل ساندج.

حضرت الخادمة بعد ان قرع برايد الجرس. وقفت كارا الى رفقتها.

- خذي السيدة ساندج الى جناح الزمرد.

ونظر الى كارا:

- سوف لن أؤخر لك زوجك كثيراً. تصرفي كأنك في بيتك هنا في خليج الشيطان.

وهل من الممكن ان تتصرف كأنها في بيتها؟ صعدت كارا مع الخادمة درجاً من الخشب الأسود. كانت طرازاً وشرفات مستديرة تشرف على القاعة الكبرى.

كان بصيص من النور يخرج من احدى الغرف في الطابق الثاني وخرجت من الشرفة فتاة تلبس ثوباً أصفر ذهبياً وكأنها تطير فوق السلالم. قالت في نفسها... ليس هذا معقولاً. كيف تطير هذه الفتاة. وتذكرت ما قاله لوكاك عن الشبح الذي يعيش معهم في البيت الكبير. شبح امرأة تنزل من الصورة من احدى الشرفات وهي ترفل بالحرير الأصفر حين يلم الخريف.

وصلت كارا الى الجناح المخصص لها ولزوجها وكان يتكون من غرفتي نوم متصلتين ببعضهما. كانت شرفة زجاجية تطل على أجمل منظر رأته العين... الأمواج الصاخبة تتكسر فوق صخور خليج الشيطان.

وقفت كارا تحدق في الخليج. ولاحظت الصخور المرتفعة كأنها تلة من الاسفنج اللامعة تحت وهج الشمس. هل هذه الصخور التي حاول التوأمان تسلقها في الماضي؟ هل وقع الحادث لبرايد هنا فوق هذه الصخور؟

تركت الغرفة الزجاجية ودخلت غرفة نومها تحاول ان تزيح الصورة القاتلة من مخيلتها. لماذا رغب برايد ان يضع لوكاك وعروسه هنا في هذا الجناح؟ الذي تكشف مسرح الحادثة المؤلمة؟ لأنه أراد ان يذكرها لوكاك يومياً كلما نظر من النافذة أو كلما أخذ زوجته بين ذراعيه؟

دخلت غرفة نومها وفيها سرير واسع كبير مع كلة قماشها من اللون الأخضر. عواميد السقف مزخرفة بالتماثيل وخزانة تقف مستديرة قرب

السرير فوقها ساعة فرنسية. وخزانة ملابس كبيرة جداً مع طاولة للزينة.

وضعت كارا أدوات الزينة فوق الطاولة وألقت نظرة على نفسها في المرآة. تعبت من شعرها الشقراء. لا عجب أن يراها حدق فيها كثيراً. في شعرها الأجعد وثوبها اللامع وثيابها التي لا تشبه ثياب العروس بشيء.

عليها أن تأخذ حماماً وتغير ملابسها. ستلبس الفستان الأبيض. إنه يجعلها تظهر هادئة ومتزنة.

فتحت خزانة الملابس لتخرج ثوبها وصرخت فزعة حين قفزت من داخل الخزانة فتاة صغيرة وهي تقهقه.

- أنت أيتها المخلوقة الصغيرة.

وامسكت بها كارا.

- لا تلعبي معي هذه اللعبة. من أنت؟

- لقد أفزعتك فزعاً. نظرت الطفلة إلى كارا مسرورة بنجاح لعبتها. كانت عيناها الخضراوان ترقصان وسط وجهها الطفولي بمرح وعبث. [illegible] الكرز البري وشعرها أحمر مصفر. فتاة جميلة للغاية. سألتها باهتمام [illegible] زوجها؟

- [illegible] رو.

- [illegible]

[illegible] زواجه. وقالت أيضاً أن كل وقته سيكون مشغولاً في توفير السعادة لزوجته.

سألتها كارا وقد اندهشت من أقوال رو كأنها قد حفظتها عن ظهر قلب.

- من هو بابا؟

- إنه لوكان.

صعدت إلى كرسي طاولة الزينة وبدأت تعبث بالأدوات.

- أقول له بابا لأنه عمي الصغير. أتاوه عمي مع أن الجميع يعرفونه...

لم تكمل جملتها، وحدقت في كارا وقالت:

- أنت تلك العروس.

- نعم أنا كارا زوجة لوكان.

جلست كارا على سريرها. تعرف أن رو مشتاقة. ولكن من الغرابة أن تكون لها العينان الخضراوان ولون الشعر الأحمر. أي شخص يراها لا بد أن يقول إنها من آل سالفدج بدون أدنى شك. قالت رو:

- أنت صغيرة.

قالت كارا وهي تبتسم:

- إنني في الثالثة والعشرين من عمري.

سألت رو:

- هل ستحبين العيش معنا؟ ستبقين هنا ولو لم تعجبك الحياة. هكذا تقول عمتي كلير... إنه لا مفر من آل سالفدج وأنت الآن من آل سالفدج

قالت في نفسها إن رو على حق. إني أنتمي إلى هنا وسأبقى هنا. شعرت كارا بدخول لوكان غرفة النوم وكان عاقد الحاجبين ولكنه ما أن رأى رو حتى ابتسم:

- أهلاً يا عزيزتي.

حمل الفتاة وقبلها. كان لون شعرهما واحداً كما حين كلارا. سألت رو:

- هل جلبت لي هدية معك من باريس يا بابا؟

- نعم [illegible] هدية.

- [illegible]

- [illegible]

ذهب لوكان مع رو إلى غرفته المجاورة. وبعد دقائق عادت الطفلة راكضة مهللة:

- انظري ماذا جلب لي بابا.

كانت تلبس أسورة فضية في وسطها ساعة صغيرة على شكل قلب صغير.

- اسمي محفور بداخلها ومكتوب عليها... مع خالص حبي. من عمك لوكان. على أن أريها لنا.

وركضت رو خارجة من الغرفة وهي تقول:

- أراهن أن دا سيسرها أن تعرف أنك لست لعبة جميلة مدللة يا كارا.

خرجت رو مسرعة بينما وقف لوكان في باب غرفته مسروراً:

- إنها طفلة صغيرة أليس كذلك؟

- نعم هي كذلك.

قالت كارا وهي تفكر ... انها حقيقة ابنة عفريت. طفلة صغيرة لها لون عينيه وشعره وبالتأكيد من دم واحد.

٦ - السيدة الذهبية

بردت الشمس بعد الظهر واستطال الظل. كانت كارا تجيد ركوب الخيل. واعطاها لوركان مهرة بلون الكريم اسمها سيلكي بينما ركب هو حصانه الأسود كالليل. وذهب كلب الكير جت يركض بين حوافر فرسيهما.

كانت صفوف قصب السكر المزروعة في الأمام لا نهاية لها كثرت واستحالت بلون الفضة الخضراء تطارد قامة الرجال الذين يحصدونه بواسطة سيف قصير مقوس بعد أن تحرق أوراق القصب. قال لوركان وهو يشير بيده:

- انظري الحقول. واذا بقي الحظ حليفنا سيكون لدينا محصول جيد هذه السنة. سيحضر العمال من كل انحاء الجزيرة وقت الحصاد. ويغنون الأغاني القديمة وهم يقطعون القصب تحت اشعة الشمس الحارة. انه منظر بديع يا كارا.

ابتسمت موافقة ونظرت اليه. كان يرتدي قبعة تغطي عينيه الأخاذتين ويقف فخوراً بمزروعاته وبوسعه المنظر. صهل حصانه وتراجع قليلاً الى الوراء بعد أن طارت حشرة كبيرة من بين القصب وحطت فوق رأسه الشامخ. فهدأ لوركان من روع الحصان وربت بحنان على رأسه. كانت يده القاسية السمراء تعمل بجد ونشاط. قالت كارا:

- حقول القصب تبدو عريضة أخضر ناضجاً.

وأكملا جولتهما وصولاً الى مصنع تكرير السكر الحديث الذي يتصاعد الدخان من مداخنه الى السماء. سألها:

- هل ترغبين في رؤية المصنع من الداخل؟

وترجلا عن الفرسين. لاحظت كارا أن العمل داخل المصنع كان قليلاً. ولم يبدأ الموسم بعد.

قال لوكاك:

- الضجة تصم الآذان حين يكون المصنع يعمل بكل طاقته.

كان يشير إلى القاطعات والعصارات الكبيرة التي تقطع وتعصر القصب وتحوله إلى سائل يقطر في مراجل كبيرة للغلي. ثم يكرر ويحول إلى بلورات دقيقة.

نظرت كارا إلى الممر الضيق بين المراجل والخزانات. وارتعدت وهي تتخيل العمال قرب المراجل الكبيرة يراقبون عملية غلي السكر وشكل المدخنة في البرج تحت السحب السوداء.

وركبا الفرسين من جديد وتابعا جولتهما. مرا قرب هضبة صغيرة يقبع فوقها مصنع السكر القديم. كان المصنع يدار بواسطة المراوح التي تعمل بقوة الرياح. بواقفه محطمة والمكان مهجور يبعث القلق. شعرت كارا برهبة وهي تحدق في هياكلها أحداث الماضي التي جرت هنا. حبست أنفاسها وكان يمكنها ان تقسم أن أحداً تحرك داخل البرج القديم يراقبها من وراء النوافذ. شعرت بأن المكان مسكون بالأشباح. سألته:

- هل يلعب الأطفال في هذه الخربة؟

فنظر اليها مستغرباً:

- أشك في ذلك. المكان مهجور وحتى الزنوج والعمال يبتعدون عن هذا المكان المخيف... أرغب في هدمه ولكن برايه يعارض. يحب الغموض الذي يلف المكان. يشعر بقيمته الأثرية بالنسبة للمصانع الحديثة التي نبنيها حالياً كي نستطيع المنافسة في السوق.

أشارت كارا إلى النافذة بعصا الركوب وقالت:

- لوكاك. اني متأكدة أني رأيت شخصاً خلف النافذة.

- ربما هو وطواط أو خيالك.

أدار حصانه ونظر مرة أخرى إلى المصنع القديم. مرت الرياح الخفيفة عبر القصب فتحركت الدواليب الهوائية فوق البرج وأحدثت صوتاً خفيفاً ثم توقفت.

وضحك لوكاك:

- المكان يعمره الغموض. ربما تكون لويلا... ستلاحظين ما تزال تنتظر عشيقها الذي اختفت على ثقاله هنا في غياب زوجها عن البيت.

قالت وهي ترتجف:

- لا تمزح الآن يا لوكاك. الموتى التعساء يتركون غموضاً خلفهم...

- ولكننا نعيش ولسنا تعساء على ما أظن.

والتقت عيناه بعينيها:

- ما رأيك في برايه؟

- انه متكبر ومتعجرف ويعيش في الماضي...

ثم لكزت المهر وطارت مسرعة به. لحقها بعد أن نبح بقوة. وكانت مسرورة جداً وهي تسمع حصان لوكاك يسابقها.

كانا يركضان فوق فرسيهما ووصلا مع الغروب إلى سهول الكاكاو. وقفا أمام الغابة ورائحة الكاكاو الناضج تملأ المكان ونقيق الضفادع يتردد بين الأشجار.

- الا يكفي هذا يا كارا من تمرين؟ السهول والقصب... كي تعيني نفسك؟

شعرت كارا بأنفاسه العميقة ورجولته. كان يلبس لباس الركوب الكاكي وقميصاً أبيض. ولم تتبين تقاسيم وجهه لأن الظلام كان قريباً ولكنها كانت تتخيل شكل هذا الوجه. كانت تتمنى ان يعانقها وان يضمها بقوة بين ذراعيه حتى يخنقها ولا يبقى بينهما أي شيء... لا أشباح ولا شابة تشبهها كلاريس.

كلاريس... هل تركتها في باريس؟ هل الفرقة الآن حيث هنا لا يحتمل وجود الحب وابنة غريبة؟

وركبا وسارا في طريق العودة. كانت الفوانيس الكهربائية مضاءة في مدخل البيت الكبير. ورائحة التبن في الاسطبلات تحمل الفرسين ينشغلان في الغرف. ترجل لوكاك قبلها وأمسك بها بكلتا يديه وحملها من فوق المهر. كانت ترتعد في قبضته ولكنها تخاف لانه لا يحبها... فابتعدت عنه ولكنه أمسكها من الكوع وجذبها اليه وقد نفد صبره.

- حسناً.
وضحك بخبث. تراجعت كارا خلف عامود في الاسطبل وقد اتسعت عيناها:
- ما أنا بالنسبة اليك يا لوكاك؟ هل تلعب بي كما تفعل بدولاب الحظ؟
قال بعد أن أشعل سيكارة:
- ربما. عندما يتزوج رجل بامرأة يتنازل عن حريته لا يكون واثقاً من النتائج. الزواج لعبة حظ.
ابتعدت كارا عنه. كانت ترى من حيث تقف نوافذ الغرف. ورأت شبح رجل يتحرك في غرفة مضاءة بنور قنديل أحمر. كان شبحاً مقعداً فوق كرسي متحرك. وقفز قلبها. هل شاهد برايد شقيقه لوكاك وهو يقبلها من النافذة؟
- عليّ أن أذهب وأجهز نفسي للعشاء.
قالت كارا ذلك ومشت بسرعة مبتعدة عن لوكاك.
كانت ما تزال تلبس ثيابها حين سمعت قرعاً على بابها. وتجاهلت الطرقة لأنها لم تكن مستعدة لمجابهته الآن. تكرر الطرق. قالت وهي ما تزال تحكم أقراط اللؤلؤ في أذنيها:
- تفضل.
فتح الباب خادم أسود يلبس سترة بيضاء ويحمل ابريقاً من الفضة فوق صينية مدورة. طلب منها الخادم أن تجرب طعم الشراب بطلب من سيده لوكاك.
- أفضل شراب عصير النخيل الطازج الموجود في الجزيرة.
قال لوكاك دون أن يدخل مع الخادم. دخل جت ووقف يسد الباب بينها وبين لوكاك.
- انه جيد.
شربته لأن الخادم صموئيل كان واقفاً ينتظر موافقتها على الشراب. وأكدت له أن الشراب لذيذ. فغادر صموئيل الغرفة وترك الباب مفتوحاً.
قال لوكاك:

- انه شراب وطني. مزيج من عصير النخيل وبعض عصير الليمون الحامض وفاكهة أخرى يضاف اليه قليل من القرفة. هل أعجبك؟
- نعم.
شعرت كارا بالدفء يغمر خلاياها.
- ألم تنتهي بعد من تجهيز نفسك؟
ونظر لوكاك الى فستانها البيباني الشكل وقد ظهر السحّاب مفتوحاً لم يقفل بعد.
- هل تستطيعين ان تنزلي لوحدك الى غرفة الاستقبال بعد أن تنتهي؟ الغرفة ذات البابين على شمال القاعة الكبرى.
هزت كارا رأسها ايجاباً. وأغلق لوكاك الباب خلفه ونزل مع جت السلالم الى غرفة الاستقبال.
أنهت كارا شرابها ولامست بأصابعها التنين المحفور فوق الابريق الفضي. تنين سالفدج موجود في كل مكان من المنزل... وهو لا يحب [illegible] آل سالفدج.
بأصابع ترتعش حاولت ترتيب ثنايا فستانها الأكسر وكانت الشرارة في أثينا حين كانت تتسوق بصحبة دوميني. كم كانت تشعر بالحرية عندئذ. كانت دوميني تزداد جمالاً يوماً بعد يوم منذ زواجها. والحب الذي يربطها ببول يضفي عليها بريقاً واضحاً. دفعت كارا برغبتها الى عرض أزيائه واعجبت بهذا الفستان. كان مصنوعاً من القماش الرقيق يمتاز بالأنوثة ويختلف كثيراً عن بقية ثيابها التي اعتادت أن تلبسها كل يوم. كانت تبدو فيه رقيقة وجذابة. أرادت أن تلبسه يوم يعود نيكوس من أميركا في احتفالات عيد الميلاد... ولكنه لم يعد. كتب يقول انه تزوج ولن يعود الى اندلوس.
نظرت كارا الى نفسها في المرآة. شكلها غريب عنها... انه شهر أيار وقد تزوجت... نظرت حولها في غرفة نومها... السرير الكبير ذو قوائم معدنية عالية. هذا السرير ستقتسمه ولوكاك وله كل الحق في ذلك. الغرفة المجاورة لغرفتها فيها كنبة كبيرة للاستلقاء. أشياء لوكاك منتشرة في الغرفة. سيكارة وأدوات الحلاقة وروب معلق وراء الباب وبيجاما حريرية لونها غامق كانت مرمية فوق الكنبة. تذكرت ما قاله لها... لن يبقى الخصام

يشاركنا فراشنا طويلاً. كان هذا انذاره لها سابقاً. اغمضت كارا عينيها عميقاً وخرجت من الغرفة واغلقت الباب وراءها.

اشرقت مصابيح نور خافت. نزلت السلالم. ووقفت في الشرفة امام صورة المرأة الذهبية. خيل اليها ان المرأة الذهبية اختفت من الصورة كلما عاودت النظر الى الصورة ولاحظت انها خدعة ناتجة عن النور والظل. الصورة لا ترى جيداً الا في نور الشمس.

خداع النظر هو الذي جعل المرأة الذهبية تخرج من اطارها وتمشي في المنزل كالشبح. انها خرافة ولا شك. ارتعشت فرائص كارا وهي تفكر... المنزل هائل والحديقة واسعة وله تاريخ مرعب عريق. الجدران المغلفة بالاخشاب السوداء بالاضافة الى النور والظل الخفيف والظل...

كل هذا يسبب خداعاً بصرياً.

لا بد من حفلة كبيرة تدق فيها الموسيقى والضحكات هذا الجو الكئيب. ستقترح على لوكاس اقامة حفلة بعد ان تستقر ولا تعود غريبة عن الجميع.

كانت كارا منهمكة في تفكيرها فلم تلاحظ شخصاً يتبعها لحظة. حدقت بإزاء عينيها. وصرخت فزعة:

- من انت؟

تكلمت باليونانية كعادتها في الاوقات العصبية.

- اعذريني.

تركتها اليدان. والتفتت خلفها الى مواجهة رجلاً اشعث الشعر وعيناه زرقاوان ينظر اليها مصعوقاً.

- ظننتك شخصاً آخر. انك تشبهينها كثيراً من الخلف...

بدأ قلب كارا يخفق بسرعة وقالت:

- انت من ؟

- لا. الآن ارى انك لا تشبهينها ابداً. انها خدعة الظلال والنور. انك نحيلة.

سألته بالحاح ترغب في معرفة الحقيقة:

- عمن تتكلم؟

- عن كاريس.

كاريس مرة ثانية! نزلت كارا السلالم برفقته. قالت:

- انت تعرف كاريس. انا لا اعرفها ابداً ولكني اظن انها صديقة حميمة لزوجي...

همس الرجل. انه نحيل الجسم ولكنه قوي الشكيمة ويلبس سترة بيضاء. كانت اصابعه لينة مرنة فوق عينيها. قال:

- الآن بدأت افهم. انت زوجة لوكاس.

- نعم. انا هي المفاجأة التي جلبها معه الى البيت.

بدأت تمرح:

- برايد ايضاً ظن كاريس مع انه لا يعرفها ولم يرها ابداً.

- انها لم تأت الى خليج الشر.

كانت ضحكته غريبة.

- عرفتها يوم كنت في باريس. وهناك ايضاً التقيت كثير ملامح حيث كانت كاريس الفتونة. كانت كاريس تعمل موديلاً وانا كنت احاول ان اكتب قصة ذاكرة عظيمة... لم اكتبها بعد.

وابتسم لنفسه.

- هنا في خليج الشر. عمل مدرساً خاصاً لرو واقوم بالتعاليم للسيد برايد... انه يعاني من آلام في اطرافه التي لا يستعملها. انا مدرب في الملاكمة على عمل التمارين الطبية.

بهتت.

ضحكت كارا لحظة مع ابتسامته. كان رجلاً لطيفاً.

- اسمي بتر زيكسود.

وانحنى لها منافياً.

- اني سعيدة بمعرفتك يا سيد زيكسود.

- شكراً يا ... هل تسمح لي بأن اناديك باسمك؟ اني غريبة هنا وسيسرني ان اعتبرك صديقاً.

- اني اجيد دور الصديق... هل نكمل طريقنا الى قاعة الاستقبال؟ السيد برايد يصر على وجوب المحافظة على مواعيد الطعام او اي شيء آخر. يعامل جسده كالآلة التي تبلى اذا لم نكشف عليها في اوقات معينة.

- انه رجل ذو بأس وحنون بالرغم من عاهته.

قالت وهي تنزل السلالم الخشبية المفتوحة من مركب القرصان المحطم:
- انه عيد لا يغلب. منذ متى يا نلز تعيش في البيت الكبير؟
قال نلز يبتسم مشجعاً:
- منذ سنة تقريباً. هل تدهشك عظمته الفاخرة؟
هزت كارا رأسها ايجابا وقالت:
- انك ستضيع كلهم تعرفون.
- حتى زوجتك؟
ضحك نلز وهو يلقي نظرة على جسدها النحيل داخل الفستان الابيض الشفاف.
- لوكان شخص معقد جداً. أشعر انني اعرفه أقل مما أعرفك ونحن لم نلتق الا منذ عشر دقائق. أليس هذا سخيفا؟
وصل نلز وكارا الى القاعة. وعلا غرفة الاستقبال. وكانت النار تلمع في المدفأة وتضفي على المكان دفئاً عربياً. كانت النار متأججة بطلب من برايد. انه يشعر بالبرودة أكثر من الآخرين. كانت ألسنة اللهب تضفي ظلالاً على الأثاث الأثري في القاعة.
قال برايد وهو يراقب ثوب كارا بكل تفاصيله:
- لقد تأخرنا قليلاً.
قالت كلير التي جلست بكامل أناقتها فوق أريكة عشبية وقد حملت كأساً من الشراب في يدها:
- الوقت صنع للعبيد.
كانت نحيلة شعرها أحمر يميل الى الاصفرار وتبدو في ثوبها الأزرق كأنها لم تعرف دفء العاطفة ابداً.
- كلير، أعرفك بكارا.
قال لوكان ثم مشى الى طاولة جانبية ووضع عليها الشراب وصب كأساً لكارا وآخر لنلز. قالت كلير:
- شكلك يوناني بدائي وليس كلاسيكياً. عيناك بوظيفتان. اود ان تمشي امامي يوما كي أقوم بنحت تمثال لك.
ضحك لوكان قائلاً:

- لا تسهري. كلير تنتمي الى المدرسة الحديثة للنحت ولن تعرفي تمثالك حين تفرغ من نحت تمثالك.
قال نلز بنظرة جعلته أشبه بابتسامة ذات معنى:
- اعمال كلير معترف بها في بلاد اسكندنافيا.
قال لوكان:
- انتم في الدانمارك شعب بارد. انا افضل في النحت شيئاً اعرفه كالنساء. كنت رخامياً في وسطها شمعة مضيئة لا تقل في الرقة ابداً.
قالت كلير:
- انك رجل تعيش في الماضي. اعجب يا كارا لماذا لم يجري الآن لايبالي عن شغفي هنا. اسمه وحشي وطبعه وحشي. هذا رأي الجميع فيه.
- انني أتعجب من تهوري.
ونظرت كارا الى الرجل الذي اصبح زوجها بتكوينه البديع الذي لا يخفى على أحد، وشعره الاحمر ونظراته العابثة وهو يداعب رأس كلبه بحنان. كان برايد يراقب شقيقه بحسد. قال:
- كان هذا الحيوان تائهاً في غاباته.
- انه يحبك ايضاً يا برايد.
وتوقف لوكان عن مداعبة رأس كلبه.
- هراء. انا لا استطيع ان أدربه يوما وأركض ورائه. الكلاب كالنساء ترغب في الركض خلف الرجل.
قالت كلير:
- لكل قاعدة شواذ يا برايد. انا مثلاً لا اركض وراء الرجل.
قال لوكان مداعبا
- ترغب كلير ان تصدق انها لا تعرف الا الفن في قلبها. كل الذين يحملون بطبيعتها يرغبون في نسيان شيء. ربما تحاول كلير ان تنسى رجلاً ما وليس شيئاً.
قالت كلير:
- انا بالنسبة للرجل كتلة صخرية او رخامية لا حياة فيها... كالحجارة التي استعملها لتماثيلي. هل انا جثة، ام زهرة، ام موضوع تأمل للرجل؟

قال لوكاك مواربًا:

- انت امرأة.. لا تغاري الطبيعة يا كلير.

ضحكت كلير ضحكة رنانة وقالت:

- كوني امرأة وتغني بالألم مع كل قطرة. السعادة تكمن في تحمل الأسى في علاقتي مع الرجل. الحب؟ الحب يتطلب كل نفحة وكل غضب وكل حس. لذا وافقنا من أن كانوا تواضعين على رأيي. انها يونانية. واليونان شعب عاطفي مع مسحة من الحزن. العاطفة تحتاج لمن يتجاوب معها. والفرد يلزمه من يمسكه ويلطفه.

ارتبكت كارا. نظر الجميع اليها ليروا شعاع الحب في عينيها وعلى شفتيها. وارتاحت حين دقت الساعة الثامنة... موعد العشاء. فتح باب غرفة الطعام ودخل الجميع. وجلس على رأس الطاولة في مقعده المتحرك رب العائلة... برايد.

قدم الحساء أولاً في وعاء عليه نقش انه سالفاتي وكان الشمعدان الفضي ينير الغرفة بضوء خافت وقد وضع في منتصف الطاولة. قالت كلير:

- لنشرب نخب العروسين. سأتلو بعض الابيات الشعرية لبرايد...

كان حكيماً وعاقلاً. قال: الاشياء الحلوة تتغير لتصبح مرة. والاشياء المرة ربما تتغير الى سعادة وفرح.

- لننتظر ونرى.

قال برايد وقد اعطى صموئيل اشارة. خرج اليه. ونظرت كارا الى لوكاك وقلبها يسرع في ضرباته. الا الذي قالته كلير ينطبق عليها. كانت كارا تعرف القناعة والاطمئنان وقد خدعها لوكاك وزال الاطمئنان عنها. وها هي الآن تواجه العالم الحي الغريب وفيه تيارات متصارعة خطيرة كالتي بين صخور خليج القمر. هل تحظى بالفرح والسعادة في النهاية؟

حضر صموئيل وناول برايد الكأس الذهبية المحفور فوقها شعار النبي. وملأ برايد الكأس الى النصف واعطاها الى لوكاك. ثم اخذ يراقبه بعينيه الثاقبتين ليرى كيف يتقاسم الشراب مع عروسه.

قالت كلير ضاحكة:

- انها لشيلة يونانية.. كلنا نجلس الى طاولة الطعام نتحسس وراء ظهرنا.

قال الن وهو يسحب النظر الى كلير:

- اني لست واحداً من العائلة.

- ربما تعزي نفسك بأنه لا غنى عنك في هذه العائلة كمدرس خاص. الى زو لا تحتمل أي مربية لتعلمها، كما حصل سابقاً.

وضحكت كلير وهي تأخذ قطعة لحم محمرة من الطبق.

- ان الطفلة زو عصبية الى سالفاتج.

أعطت كارا بعض الخضار المطبوخة مع ازينة وهي ترى كلير ترمق لوكاك بنظرة لها معنى خفي.

وتناول الجميع القهوة بعد الطعام ثم عادوا الى قاعة الاستقبال. حين فتح الباب كانت الطفلة الصغيرة تقف بثوب نومها تبكي والدموع تلمع في مآقيها وعلى خديها.

- انا... انا سمعتها. سمعت السيدة الذهبية...

٧ ـ الحصان الذهبي

هدأ لوكان من روع الطفلة بعد أن ضمها في حضنه. وطلب لها الشوكولا الساخنة لتشربها وهي قرب النار في غرفة الاستقبال. كانت تضع رأسها على كتفه باستكانة وتصر أنها سمعت شبح السيدة الذهبية التي كانت ترقص بالخزين خارج غرفتها.

قالت كلير وهي تشعل سيكارتها:

ـ إنك تدللين. رو تدعي بحمل خصب... إنها تحلم

قال لوك:

ـ هذا لا يهم الآن. سوف أذهب وأتفحص المكان قرب الشرفة. ربما يكون وطواط قد طار قرب النافذة وأحدث وقع جناحيه صوتاً سمعته رو من غرفتها.

وتبعته كلير قائلة:

ـ سآتي برفقتك

إنها لا تعرف كيف تواسي طفلة ولا تستطيع أن ترى الأشياء كما تراها عندما تشعر بعدم الاطمئنان لكونها صغيرة وسط كل هذه الأشياء الضخمة حولها... البناء الحجري، الغرف الكبيرة العديدة. وحولها الخدم شرزون متشائمين. كارا نفسها تأثرت بقصة السيدة الذهبية التي قيل إنها الشبح الذي يلازم البيت الكبير حيث ماتت تعيسة.

كانت رو تستمتع بالقعدة في أحضان لوكان قرب النار وتستمع إلى قصة الأميرة الإيرلندية التي كان يقصها عليها. بدأ النعاس يداعب في عينيها الخضراوين تدريجياً. وبدأ الشك يساور كارا وهي تراقبهما سوية وتلاحظ

الشبه الكبير بينهما.

لا أحد يعرف والدة رو. لقد تركتها طفلة رضيعة على باب البيت الكبير في رحمة آل سافدج. أليس من غريب الصدف أن تحمل رو الصغيرة عينين خضراوين كعيني لوكان وشعراً أحمر بلون شعره بالإضافة إلى حبه الكبير لها؟

عضت كارا وأسرع نبض قلبها. كان برايد ينظر إليها نظرة ذات معنى من قرب الموقد. سألها:

ـ هل وجدت يا كارا أننا عائلة مسلية؟

كان برايد يشرب وهو يحمل فنجانه في يده القهوة الأيرلندية. صوته واضح عال من اللكنة الإيرلندية التي ما يزال يحتفظ بها لوكان.

ـ هل تشاركيني في قهوتي أم تفضلين القهوة العادية؟

قال مستدركاً:

ـ هذه القهوة سرقتي من جزيرة جامايكا

ابتسمت له كارا وهو يصب لها قهوة تركية في فنجانها الأزرق الصغير

قال برايد:

ـ إن منصب الزواج على عكس لوكان الذي لديه ولع صبياني بالحلويات

كان لوكان يشارك رو في الشوكولا الساخنة التي تشربها

ـ وماذا حصل بعد بالعجوز بلك؟ هل تزوجت الأميرة من المحارب؟

وهزته من كتفه:

ـ هل عاشت سعيدة إلى الأبد؟

قال لوكان:

ـ نعم. عاشت في القلعة الموجودة فوق واد صخري منعزل في إيرلندا. وكان لهب النار يتدلع في هواء الليل البارد وكانت الأميرة تلعب الموسيقى على القيثارة

سألته رو

ـ ما هي القيثارة؟

ـ إنها آلة موسيقية تعرفها الملائكة يا صغيرتي

ـ هل كانت الأميرة حقاً سعيدة مع المحارب؟

ـ نعم حتى غدا سوية في الحب.

توقف لوكاك عن الكلام وحمل رو بين ذراعيه كالطفلة الرضيعة.
ـ تعالي يا صغيرتي. سآخذك إلى سريرك...
ـ لا.
بدأت تتلوى بين يديه ودموعها تنهمر من عينيها كالسيل.
ـ لا. لا أريد أن أبقى وحدي.
تركت كارا فنجان قهوتها جانباً ووقفت:
ـ أنا أبقى معها لحين تنام.
وابتسمت لها رو.
ـ هل تحبين أن أبقى معك؟
هزت رو رأسها إيجاباً. وشعرت كارا بقلبها يتعطف على الفتاة الصغيرة الخائفة. نظرت إلى برايد متوقعة فأمسك يدها الرقيقة بين يديه الفولاذيتين وعلى وجهه تعبير من الألم.
قال برايد:
ـ للصغار عيون واسعة وأحلام كثيرة. لا تتركي نفسك على عواطفها مع أحلام الصغيرة يا كارا. في هذا البيت الكبير الحافل بالتاريخ العريق، علينا أن ننظر إلى المستقبل... إلى الأشقاء والشقيقات الذين سيحظى بهم رو قريباً.
سحبت كارا يدها بسرعة من يده وهي تقول:
ـ مساء الخير يا سيدي. وصعدت السلم مع الصغيرة رو. كانت تشعر أن برايد يعني ما يقوله حرفياً. أي أنها إن أنجبت ولداً سيكون شقيقاً فعلياً لرو.
كانت كاي ما زالت تحدث نيز على الشرفة في الطابق الأول. استدارت كاي على وقع الأقدام وقالت:
ـ هل أنتما ذاهبتان للنوم؟
ـ سأبقى مع رو حتى تنام.
وابتسمت كارا وهي ترتعش في الداخل لفكرة النوم في الفراش مع لوكاك. رجل لم تعد تعرفه أبداً، غريب عنها ولديه صديقة حميمة في باريس وربما يكون هو والد رو التي تبناها شقيقه برايد.
قال نيز مخاطباً رو وهو يمر بيده فوق شعرها.

ـ أنت محظوظة لأن عندك الآن عمة حلوة صغيرة تهتم بك.
قالت لها كاي حانقة:
ـ أنت مدللة ونحن نتساهل معك يا رو.
ثم ركضت نحو السلالم وهي ترفع ثوبها الحريري الطويل.
نظر نيز نظرة مرتبكة إلى كاي. ثم قال مخاطباً رو:
ـ ليست هناك أشباح في المنزل. فتشنا جيداً. أنا وكاي. ولم نعثر على أي شيء.
وتبعت كارا لوكاك وأحست بالألفة يلفها في بيت خليج التنين. حمل لوكاك رو إلى غرفتها الكبيرة الفخمة وكان القنديل في غرفتها ما زال مضاءً.
كان يبين السرير الكبير ويترك ظلالاً في الزوايا وبين الأثاث المزخرف.
لف لوكاك الأغطية حول رو جيداً. كانت صغيرة تحت ضوء القنديل.
ـ كارا ستغني لك لتنامي. تعرف أغنيات جميلة وتفضل أن تغني لي.
ـ ولكنها زوجتك!
ضحكت رو وقد سرّها التشابه.
ـ نعم هي زوجتي وأنا أيضاً زوجها.
ألقى لوكاك نظرة تساؤل على كارا عبر السرير الكبير ما جعلها تشيح وانحنى فوق رو وقبلها.
ـ أراك غداً يا صغيرتي العزيزة.
ـ أراك غداً يا عزيزي بيك.
ومشى إلى الباب ثم حدق في ثوبها الرقيق الذي يلف جسمها النحيل وخلع سترته ثم حملها إلى كارا ولفّها بها.
ـ الليل بارد في خليج التنين.
وخرج لتوه وأغلق الباب.
شعرت كارا بثقل سترته ودفئها كأنه عانقها. رغبت أن تخلعها عنها ولكنها خشيت أن تجرح شعور رو وتجعلها تستغرب تصرفها هذا.
ـ أين ألعابك يا رو؟
كانت الغرفة أبعد ما تكون عن غرفة طفلة. ليست فيها دمى ولا عرائس ولا حتى أقلام تلوين. أشارت رو إلى خزانة كبيرة في الزاوية فذهبت كارا إليها وفتحتها. كانت رفوفها مليئة بالعرائس والكتب

والألعاب الأخرى مرتبة أحسن ترتيب.

- لا يسمح لي أن ألعب بها أو أغيّر نظامها. دا تنزعج من الفوضى وعدم الترتيب.

دا كانت دائماً تنزعج من عدم النظام والترتيب حتى من لوكان عندما كان صغيراً.

أخذت كارا كتاب خرافات لافونتين وتعرّفت فيه. وجدت في داخل إحدى القصص كتابة تقول: ... إلى عزيزي لوكان الذي أحب العديد من قصص الجنيات الساحرات.

كانت الكتابة مشوشة والحبر باهتاً. وعمر الكتاب أكثر من سبع سنوات.

- هل تقرأين القصص الخرافية يا رو؟

كانت تحاول أن تتمالك غضبها. كانت تقول لنفسها... أنا أيضاً أحببت شخصاً آخر قبل لوكان.

هزت رو رأسها وقالت:

- هذا الكتاب لعمي بلك. لقد سمح لي بقراءته ولكني لا أفهم جميع القصص. هل تقرأين لي يا كارا قصة منه؟

- ليس الآن.

أعادت كارا الكتاب إلى موضعه في الخزانة ووجدت طاحونة صغيرة بين الألعاب فتذكرت طاحونة السكّر القديمة والشبح الأسود الذي رأته خلف النافذة المكسورة.

- أنا لم أقابل مربيتك دا بعد. إنها كالقصّابة شديدة النظام.

- لديها وله تزوره دائماً. ويعاملونها هنا كأنها فرد من أفراد العائلة. إنها تعيش في البيت الكبير منذ خمسين سنة.

كانت رو تتكلم وهي تغالب النعاس. إنها تخاف أن تنام وهي وحدها في الغرفة. جلست كارا قربها على السرير ومرّت بيدها فوق شعرها الأحمر. إنها كالقطة الصغيرة.

- من هي القطيطة؟

شعرت كارا أن عليها أن تضمّها بين ذراعيها وتغمرها بحنانها.

- من قال لك ذلك يا صغيرتي؟

عضّت رو على شفتيها وقالت:

- لقد قرأت ذلك في كتاب على ما أعتقد. هل ذلك يعني أن والدي لا يحبني وقد تركني؟

لاحظت كارا أن رو قلقة والتي ربما تحمل القلق أيضاً. وأخذتها على التفهم في حسابها. هل كانت الصغيرة تعرف حقيقتها أم أنها سمعت الخدم يتحدثون بذلك؟ دا هنا منذ خمسين سنة وتعرف بالتأكيد كل ما يجري في البيت الكبير.

- أحياناً، الكبار يفعلون أشياء يندمون عليها والبعض يحاول أن يكفّر عن الألم الذي تسبب به. ستكبرين يا رو وستصبحين فتاة شابة وستفهمين عندئذ أكثر...

كانت كارا نفسها لا تفهم الحقيقة. كيف تصفح وتغفر لمن تسبب في وجع قلبها! كانت مذعورة وقد جرحها ما عرفته أخيراً عن لوكان.

- غنّي لي يا كارا. قال عمي بلك إنك تجيدين الغناء.

وبصوت رقيق ناعم وعلى ضوء القنديل الخافت، غنّت كارا أغنية بالرومانية تعرفها منذ طفولتها. عن الطفلة الصغيرة الحلوة التي كانت تسير تحت جناح وحش.

فتحت رو عينيها حين انتهاء الأغنية وقالت:

- كارا، لا تتركيني وحدي.

- لن أتركك حتماً.

مشت كارا إلى النافذة الكبيرة وفتحتها. كانت النجوم تلمع في السماء مثل عيون ذهبية. أطفأت كارا القنديل وخلعت ثيابها واندسّت في الفراش قرب رو. تعانقتا سوياً. واطمأنت رو لوجودها قربها فاستسلمت لنوم عميق. بقيت كارا مفتوحة العينين داخل الغرفة المضاءة بنور النجوم.

عرفت كارا أنها لو عادت إلى غرفتها ستغلق بابها بوجه لوكان. كان من الأفضل لها أن تبقى حيث هي. لديها العذر بأن رو تحتاجها. بدأت تفكر بلوكان. كان الألم يحزّ قلبها كلما تذكرت وجه الشبه بين لوكان والطفلة رو.

منذ تلك الليلة، ارتفع حاجز بين كارا ولوكان زوجها. لم يفعل هو أي شيء لإزالة الحاجز أو تحطيمه. كان يغيب عن المنزل ساعات متواصلة في مراقبة

الأعمال في حقول القصب وسهول الكاكاو والمساحات الكبيرة من شجر اللوز المحملة بالثمار الناضجة.

وكانت كارا تصحب لوكاك بعض الأحيان في دورته التفقدية. كانت تحبها فقط حارة باردة... تبدو كأنها ... تمر بسحابة ... وكثير ... تشبه النمر. تشهق عندما ... جناحيها ... وكانت ... في غرفة نوم كارا.

لم تعرف كارا ... تشبه ... لا يعرف ... رفاقها ... الزرجية ... فوق الخيل كانت ... وشديدة ... ترغب البحرية ... كانت مثيرة للأعصاب.

... الصداقة بين روز كارا. كانت ... قرب صخور الخليج ... الأولى ... من الأخشاب والأغصان اليابسة ... الأغصان ... وسحب الدخان السوداء تتصاعد إلى السماء ... الصغيرة والشجيرات ... فوق ...

[illegible]

جوليوس ...

ضحك جوليوس لقصتها. واحست كارا ... الصداقة ... منذ صغرها ... لوكاك ان جوليوس هو ... المخلص الأمين. وقد تولد بينها رابط قوي ... وبانيس خادمه الأسود. الذي ... في ... بإخلاص ووفاء.

كنت كارا لا تشغلها ... من خليج ... رسائل بعثت بها ... هو ... حروفها ... الرسائل كلها ... قصب السكر والزراع ... الآن.

ورأت كارا امرأة زنجية ترقص خلف احد ... الكاكاو وهي تحمل

بينما ... زوجها. ضحكت كارا لأن هؤلاء الناس يعيشون عيشة رضية ... بالسعادة مع فقرهم.

كل عامل يملك منزله الخاص وقطعة ارض زراعية صغيرة يزرع فيها الخضار ويربي الدجاج والطيور. يلعب اولاده في الشمس شبه عراة. كانت كارا تحب ان تجلس على شرفة مستودع الكاكاو تتسلى برؤية ... العمال وهم يغنون. ... رقص ... مع مرور الأيام ... إلى ... الزاهية ويصنعون ... الحارة.

كانت امرأة عجوز تخاطب جارتها:
- انها زوجة الرئيس لوكاك.

كانت النساء ... أن ... كارا الأولاد ... يتعجبن كثيراً... كيف يمكن لرجل كبير أن يتزوج فتاة نحيلة تشبه الغلمان وجهها ... الذكر كما هو ...

... قلا ... الخنزير ... الطيب ... الكاكاو ... والكاريبي ...

... في ...

[illegible]

... مع ... بصوت ... ضربات ... كانت هذه الأغاني ... في قلب ... النحيلة البعيدة عن منزل أهلها ... حزنا.

كانت كارا تمشي وحدها عندما تكون روز في الدروس مع ... تشعر اليوم ... وتتسلى.

لقد اشتاقت إلى أهلها... اشتاقت إلى بول ودومي. وابتعدت كثيراً داخل الغابة فوق السهول حيث ينمو القصب ... والعرائش الذهبية والشجيرات الخضراء. كانت كارا تعرف ان في الغابة حيات ... كالقمص ولكنها ... بسرعة. كانت ... فوق رأسها ... الغابة. ... طائراً ... الأخضر له ذيل طويل ... عن ... وشاهدت ... الغابة ... خلف شجرة ... ذيلاً ... طويلاً

قفزت كارا الغابة حتى وصلت إلى سور الكاكاو. توقفت قليلاً وهي تشعر بحرارة شديدة. ووجدت قرب جذع شجرة كبيرة زهوراً بيضاء توكاك: «لا تنسيني». انحنت كارا لتلمس واحدة منها فدهشتها أن ترى كيف انطفأت وبهتت على غصنها بعدما كانت حيوية. تذكرت نظرات لوكاك الفارحة حين قطف لها باقة منها وعطفه في أنه يوم تذكرها أنه لن يحتمل زوجة تقول له «لا تنسني».

أسرعت خارجة من الغابة. ووجدت نفسها قرب القصب التي تقف فوقها طاحونة السكر القديمة ... مدخنة مسكونة بالأشباح. لا يزال جرسها معلقاً من فتحة صغيرة في البرج.

كان زئير الحصان يصرخ عالياً وسط هدير العاصفة. وشعرت كارا بقوة خفية تشدها إلى الطاحونة. تسلقت الهضبة ووصلت إلى بابها. دفعت قليلاً وسمعت صريره وهو يفتح. المكان موحش وقد تدلت خيوط العنكبوت من جدرانه وزواياه. كان من الصعب عليها أن تتخيل المصنع لما كان في الماضي. حيث كانت ألسنة اللهب ترتفع تحت المراجل، وتصورت العمال وصخب أصواتهم والنار تحت القدر الكبير المشتعل حيث يغلي السكر. فتذكرت كيف انقلب أحد المراجل واحترقت حريقاً في المصنع دفنت ضحيته لويلا سانديج. اختبأت في البرج الصغير حيث الجرس. كانت تنتظر خطيبها كالعادة.

مشت كارا نحو السلم الحديدي الكبير. كان يرتفع بشكل دائري إلى أعلى حيث وصلت ألسنة النار وتركت خلفها سحابة الأسود والدخان التي تسببت في موت لويلا خنقاً.

كان خطيبها الشاب خارجاً إلى عمله في الحقول عندما رأى الناس يهربون من المصنع ... وركض بحصانه مسرعاً عائداً عبر حقول القصب وحاول أن يصل إلى السلم إلى لويلا ليخلصها منه عمال المصنع ...

تخيلته كارا وجهه يكسوه السخام الأسود وهو يحارب العمال ليخلص حبيبته قبل أن تختنق. كانت لويلا تشد على الجرس طلباً للنجدة.

فجأة تحرك الجرس القديم وسمعت كارا صوته. هبط قلبها إلى رجليها خوفاً وقشعريرة البرودة. تراجعت مذعورة عن السلالم ووصلت إلى الباب الخارجي. فتحته بقوة وركضت هاربة كأن الشيطان يتبعها بسوطه.

ركضت وسط القصب وقلبها يخفق بجنون. وسمعت خلفها حوافر فرس تقترب منها أكثر فأكثر. كانت حوافر حقيقية تسمعها بوضوح. نظرت خلفها لتطلب من راكب الفرس أن يكف عن ملاحقتها. وفي يده الحاد الرمح ... كان الحصان الكبير الشعبي وكتفي فوقها وشعره الأسود الكثيف يجري خلفه رأس راكبه. تراجع الحصان على رجليه الخلفيتين ورفع رجليه الأماميتين ليسحقها.

وقعت أرضاً. الآن يكاد يقتلها في ذراعها وكتفها وقد امتلأت عيناها بالغبار وغابت عن الوجود.

استفاقت كارا لتجد نفسها في غرفة نومها في البيت الكبير. وحدقت في الأثاث حولها. لا بد أنها أمضت هنا مدة دون أن تدري لأن كاي حضرت لتجلس إلى جانب سريرها وانحنت فوقها تقول:

ـ كارا. لقد جعلنا خيفاً عليك. كيف تشعرين الآن يا عزيزتي؟ هل تؤلمك كتفك كثيراً؟

ـ كتفي؟

استغربت كارا. كانت ما تزال فاقدة الوعي. نظرت حولها. ورأت ذراعها فوق وسادة زرقاء.

قالت كاي:

ـ وقعت وجرحت نفسك.

ساعدتها لتشرب عصير الليمون المثلج. ثم قالت:

ـ وجدك لوكاك تحت القصب فاقدة الوعي، قرب طاحونة السكر القديمة. وحملك على حصانه إلى البيت. ولحسن حظك كان الدكتور فليز يسعف أحد العمال، فحضر إلى هنا على الفور وقال أن ما بك كدمات وخدوش فقط ولا وجود لكسور. لقد أغمي عليك من شدة الحرارة.

قالت كارا:

ـ كان أحدهم يمشي على حصانه. وكان الحصان كبيراً ذهبياً وله ولمس أسود هائل.

حدقت كاي بها كأنها تظن أن الرعب وشدة الحرارة قد أثرا على عقلها ... قالت كارا تحاول أن تجلس في الفراش.

ـ أين الولد الخرقة.

ساعدتها كلير ورصّت خلفها الوسائد. كانت يداها بارزتين فوق جسد كارا الدافئ. نظرت كارا إلى ثوب النوم الشفاف الذي ترتديه، وتساءلت... من استعمل لها ثوبها؟
قالت كلير:
- أصدقك. ولكن الطبيب يريدك أن تبقي في الفراش ليوم أو اثنين. أنت مكدومة. لقد وقعت قبعتك عن رأسك وتركته معرضاً لحرارة الشمس...
فقالت كارا:
- ليس لدي حمّى في الدماغ. إنك لا تصدقين ما قلته بشأن الحصان؟
قالت كلير معترفة:
- كان لدينا في الماضي فرس ذو عرف أسود من أصل عربي. كان ذلك منذ زمن بعيد. وكان يملكه راوند. تخلصنا منه بعد الحادثة. كان اسمه سلطان وتخلصنا منه لأنه كان ذكرى أليمة لراوند يذكّره بعجزه عن الركوب.
همست كارا:
- سلطان... الشيطان. هل كان لونه ذهبياً ورأسه ضخماً أسود الشعر؟
- نعم...
نظرت كلير إلى الباب الذي دخل منه لوكان.
- تعال يا لوكان وحدّق زوجتك الصغيرة المضحكة. إنها تصر أن سلطان ركلها بحافره ورماها أرضاً.
كانت كلير تضحك أما لوكان فقد عبس وقال:
- هل تتركينا يا كلير وحدنا؟
هزت كلير رأسها لطفاً وتركت الحجرة. اقترب لوكان من سرير زوجته ونظر إليها غاضباً وقال:
- لن تقربي ذلك المكان مرة ثانية. إنه خرابة معطلة ولا نفع منه. يجب أن يحرق كله؟
- لقد ركض أحدهم ورائي فوق حصانه.
كان ينظر إليها مستغرباً وأكملت:
- أنا لا أتخيل ذلك. إنها الحقيقة. لم أصب بضربة شمس على رأسي!
- هل دخلت إلى المصنع؟
هزت رأسها نعم.

- كنت فضولية. أردت أن أرى داخل المصنع. سمعت صوت جرس الفرج. فخفت وركضت خارجة.
- ثم زلّت قدمك بعض عربشة أو شجيرة صغيرة ووقعت إلى أسفل الهضبة... كارا، بدأت أظن أنني ارتكبت خطأ كبيراً حين جئت بك إلى خليج التين.
سألته أخيراً السؤال الذي قضّ مضجعها وحرمها السعادة:
- هل تتمنى أن تكون كاريس هنا بدلاً مني؟ لقد ذهبت إلى باريس لتزورها. كنت ترغب أن تصبح زوجتك.
- نعم. هذا صحيح. كنت سأسأل كاريس أن تتزوجني.
حاولت كارا حبس دموعها وتمنت أن تغيب عن الوعي مرة ثانية. كان الألم قد اشتد عليها والغضب أعماها. قالت بإرهاق:
- لماذا لم تسألها؟ ألم تتحمل أن تسألها أكثر رغم الآلام في جسدك؟
- كارا...
مشى إليها ليلمسها. وشعرت كأنه طعن قلبها برمح.
- ظننت أن بإمكان كاريس أن تشاركني حياتي في خليج التين، ولكن حين التقيتها في باريس تأكدت أن ذلك غير ممكن. لقد عرفتها منذ عدة سنوات. هي جميلة ونشيطة وكلها حيوية ولا سبيل إلى سؤالها. ثم التقيتك في فورت وليام...
- وكان من السهل عليك أن تسألني أن أصبح عروساً لك. سامحني. اتركني يا لوكان. إني تعبة وأريد أن أنام.
أغلقت كارا عينيها. وبعد قليل سمعته يخرج ويغلق الباب خلفها.
لقد تركها لوكان ولم يحاول أن يشرح لها الوضع بوضوح أكثر. إنها بصراحته. وشعرت بالاختناق. إنها دمية مهجورة وغير مرغوب فيها. وملأت الدموع مآقيها. الدموع سهلة لمن يشعر بالآلام الشديدة في كل ذرة من جسمه.
ليتها لم تأت أبداً هرباً من الفاوس. لو بقيت تحت حماية شقيقها مستقرة ومرتاحة. أما هنا في خليج التين غريبة مقهورة وحيدة. والشخص الوحيد الذي كان بإمكانه أن يغمرها بالأمان والاستقرار اعترف بأنها ليست الزوجة التي كان يتمناها. إنها الخيار الثاني بعد كاريس.

فتشت كارا عن محرمتها تحت الوسادة. وأجفلت من وجع كتفها عندما تحركت. هناك شخص في خليج التين يكرهها. انه شخص حقيقي وليس شبحاً يطاردها في الخيال. كان يجلس فوق الحصان الذهبي ذي الرأس الأسود الشيطاني... سلطان.

٨ - رجل في الظلام

مرّت كارا المضنية يوم في الفراش. وحضرت رو لزيارتها فجلست على حافة السرير ذي العواميد الاربعة. كانت تسأل بفضول عن الحادثة.

- لقد زلّت قدمي ووقعت.

قالت كارا وهي واثقة ان عليها ان تخفي الحقيقة عن هذه الفتاة الذكية التي تتحلى بمخيلة واسعة. لقد صدّق الجميع هذه الكذبة.

- كنت دائماً واثقة من مشيتي كأنني معزة يونانية.

سألتها رو مواسية:

- هل تشعرين بالألم؟

الكدمات في ذراعها كانت بلون قوس قزح هذا الصباح وقد امتدت الى اعلى الذراع والى الساعد. حين تحركت ذراعها كانت روحها تكاد تخرج من صدرها من شدة الألم، وأحياناً تصرخ دون شعور. يبدو ان احدهم يريدها ليجعلها ترحل عن خليج التين، ولكنها لن تذكر هذه التصورات لأحد.

- سأستعين بك في تزيين غرفتك بألوان زاهية ولتغيير البساط والستائر كذلك. سنضع لسريرك فراشاً ووسائد برتقالية. هل يعجبك اللون البرتقالي؟

أجابتها رو بحماس يشوبه الشك من التنفيذ:

- نعم.

قالت كارا:

- سنتخلص ايضاً من بعض الأثاث الضخم وربما نجد في هذا البيت

تكبير الأنا بسبب جمالك.

- أكره الغرفة. والنا أظل أبدأ في داخلها. وتكرر دا تقول إن لا شيء يتغير في خليج الليل حرصاً على التقاليد.

- لا بدّ للأشياء أن تتغير يا رو. الأشياء التي كانت مسافة منذ خمسين سنة أصبحت الآن قديمة وعتيقة.

قالت رو ناصحة:

- يجب عليك أن تسألي دا. عمي يريد أيضاً يا دا ... سور رب المنزل، وهي لا تحب أن يتغير أي شيء هنا.

قالت كارا بغضب:

- لحسن سعادتك يا رو أنهم من الأثاث.

- إن ذلك يختلف ... إذ ما كنت حتماً من أن سأغادر.

قالت رو وهي تنظر إلى كارا من زاوية عينيها الخضراوين. إنها ليست النظرة العادية الصادقة بل هي نظرة تتساءل عن الحقيقة. عضت كارا على شفتيها. لا يمكنها أن تحب الفتاة وتقول لها ... إنك ستغادرين حقيقة وستزولين من عالمهم.

- كلتانا متساويتان يا رو. لقد اخترنا أن نغادر لنصبح جزءاً من عالمهم.

سألتها رو:

- وهل أنت سعيدة؟

أجابتها كارا

- طبعاً.

كانتا تحملان سراً مشتركاً بينهما. كلتاهما ملك لوكان ولكنه ليس ملكاً لأي منهما. عليهما القبول به كما هو.

فتح باب الغرفة ودخلت دا تحمل صينية عليها الفطور. وشعرت كارا بتشنج وقلق.

سألت رو وهي ترجع على الفراش بفرح:

- أوه. الفطور في الفراش. هل أستطيع أن أتناول فطوري هنا؟

قالت كارا وهي تنظر إلى دا:

- نعم باستطاعتك.

كانت دا ترى كارا طفلة تكبر رو بقليل ولا تمكنها أن تتحمل أية مسؤولية. كانت متعصبة القامة وآمرة بالرغم من تقدمها في السن. لونها أسمر كلون العاج القديم. وعيناها السوداوان تلمعان تحت غطاء رأسها الكاريبي. تعرف كيف تستغل ضعف الناس من حولها وتتمتع بقوة غامضة كأنها تتعاطى طقوس الشعوذة.

سألت بأدب وهي تضع صينية الطعام في حضن كارا فوق الفراش وتأمر رو أن لا تتحرك:

- كيف حال ذراعك يا سيدتي؟

- إنها تؤلمني ولكنني آمل أن أشفى قريباً. ما ألذّ هذا الفطور يا دا.

تذمّرت رو:

- يوجد فنجان واحد فقط؟

- اسمعيني يا آنسة رو. انزلي وتناولي فطورك في غرفة الطعام مثل أي فتاة حسنة السلوك.

قالت كارا مبتسمة:

- دعيها تبق هنا. صموئيل سيحمل لها فنجاناً آخر وأنا لن آكل هذا الطعام كله وحدي.

كان الفطور شطائر بالزبدة مع البيض واللحم وقطعاً من الأناناس والخبز المحمص والقهوة.

- أنت مراعية الكلفة هنا يا سيدتي.

قالت دا ذلك ونظرت إلى ساعتها المتدلية من وسطها.

- اعذريني سيدتي لكان أن أعلمك بأن الدكتور فابر سيمر في الساعة العاشرة صباحاً يا سيدتي. عندما تنتهين من فطورك سأرسل احدى الخادمات لمساعدتك في تحضير نفسك.

- شكراً يا دا سيظل ذراعي عاجزاً عن الحركة ليوم آخر أو أكثر.

قالت رو وقد ملأ الشكر وجهها:

- أظن أن بك غاضب جداً وسيحرق الطاحونة ... فلماذا؟ أعتقد أن الأشباح التي تسكن الطاحونة قد أوقعتك يا كارا.

نظرت كارا إلى دا. كان وجهها دون أي تعبير وقالت:

- إن لك مخيلة خصبة يا آنسة رو. الجميع يعرفون أن الأشباح لا توقع

الناس.

قالت كارا:

- هذا صحيح. ثم فكرت في نفسها . . . كما ان الأشباح لا تجعل الفرس يدهسها ويكاد يقتلها

مشت دا الى النوافذ وفتحت جميع ستائرها. كانت نظرة كبرياء وشموخ ترتسم على وجهها وهي تحدق في أثاث الغرفة. وقالت:

- هذا الأثاث صنع هنا في خليج التين منذ اكثر من مائة سنة. وسرير الزواج هذا صنع لهذه الغرفة.

سرير الزواج . . . تعبير قديم يعكس القوة والطاعة. قوة الزوج وطاعة الزوجة. أحست كارا ان دا تراقبها وهي تأكل فطورها. وجف قلبها من نظرة اللوم في عيني دا لأن الوسادة الأخرى في سرير الزواج كانت نظيفة كأن ليلة لا تحمل أي أثر لرأس لوكاس فوقها.

خرجت دا وأغلقت الباب خلفها:

- سأطلب من صموئيل ان يجلب فنجاناً آخر.

قالت رو وهي تأكل الخبز المحمص:

- أظن أنها تملك نصف الدنيا. لذيذ ان تأكل هنا. اني أتمنى ان ابقى في الفراش اسبوعاً كاملاً.

قالت كارا:

- ولكن بدون مرض وخوف . . . انتبهي يا آنسة الى العصير كي لا ينسكب. لا أريده فوق شراشف السرير.

ضحكت رو:

- فوق سرير زواجك.

وأحضر صموئيل الفنجان. شربت رو الحليب مع القهوة. سألتها كارا:

- هل يعمل ابن دا في [illegible]؟

هزت رو رأسها نفياً وقالت:

- انه غريب الأطوار ويعيش وحده في منزل ذي بكاثر خشبية قرب المستنقع. انت لا تعرفين المستنقع بعد. انه مكان كثير الغموض. أخبرني صموئيل انه مشعوذ يعيش على سحره. انه يعمل تعاويذ للناس ويصنع

دواء للصحة.

ضحكت كارا:

- يا للخرافة.

كانت تعرف ان الناس في هذه الجزر تؤمن بالطقوس وتمارسها. ها هي نفسها تشبه . . . ساحرة.

انتهت رو من فطورها. وطلبت اليها كارا ان تغسل وجهها ويديها ايضاً لتزيل طعم الغذاء في رقبتها. قبلتها رو من وجنتيها وهي تقول:

- انت لطيفة وحنونة يا كارا. عمتي كلير تختلف عنك. انها باردة كالثلج.

سألتها كارا بحزم:

- من سمعت هذه الجملة؟

- ابي. من زمن. لقد قالها لها أمامي في غرفة عملها . . . انت باردة كالتماثيل التي تنحتينها من الرخام . . . هل تعتقدين ان ابي يحبها؟

ضحكت كارا:

- انت فتاة مبكرة النضوج. كلير جميلة جداً وذات شعور مرهف كفنانة.

قالت رو بسرعة:

- انا لا أرغب أن أكون شديدة الحساسية وعندما أكبر سأتزوج من رجل يشبه أبي وأنجب عشرة أولاد.

ضحكت كارا:

- عشرة اولاد فقط يا صغيرتي؟

قالت رو:

- انت تضحكين علي. ولا أهتم لضحكك. انا لا أحب ان ألعب وحدي وأتمنى لو تسرعين وتنجبين لنا طفلاً.

وما ان انتهت رو من جملتها حتى حضر لوكاس. لا بد انه سمع كلماتها. وقف بالباب منفرج الرجلين غاضباً. صرخت رو وركضت اليه لتقبله.

- بابا.

- وجهك كله آثار وفمك خبز. انتبهي واغسليه واخرجي الى عمتك كلير لتقولي لها صباح الخير. انها في مركز عملها في الاستوديو الصغير.

- هل يجب علي ذلك؟

واقتطفت خصلة من شعره فمسحت بها علامة سؤال فوق جبينه وقالت:
ـ كم أنت جميل يا بنيّ.
قال عابساً:
ـ وأنت غريبة. من الأكيد أنه يتوجب عليك أن تذهبي وتجلسي على عرشك فوراً.
ـ حاضر. هل أقبلك مثل سكان الاسكيمو؟
وحركت بأنفها فوق أنفه. أخرجها من الغرفة قسراً وعاد الى وقفته السابقة.
ـ انها شيطانة.
نظرت الى كارا وهي تتساءل ... هل هي الشيطانة أم والدتها؟
ـ هل تناولت فطورك يا لوكان؟
ـ فنجاناً من القهوة وبعض الخبز المحروق في منزل الناظر.
كان لا يزال في لباس الركوب.
ـ دخلت بعض الجرذان حقول القصب وعلينا إخراجها قبل أن تتلف المحصول بكامله. كيف فراخك؟ يبدو أن ... الوحيد.
ـ انها تؤلمني.
اقترب منها فمسح عنقها. أرادت أن ينحني فوقها ... ولكنها تذكرت حديثها معه في اليوم السابق وكيف اعترف لها بحبه السابق في الزواج من كاريس. ماذا ترغب في ...؟ جلس لوكان على حافة سريرها. رائحته كرائحة الحقول النضرة. أخذ تفاحة من الصينية. كانت عيناه الخضراوان تتغيران حسب مزاجه.
قضم شيئاً من التفاحة ثم ناولها إياها لتشاركه في أكلها. قضمت هي أيضاً جزءاً صغيراً وابتسمت وقد احمرت وجنتاها خجلاً.
ـ حواء هي التي تغوي آدم عادة.
ـ هل أنت مستعدة للتجربة؟
كان لوكان ينظر الى رقبتها الرقيقة، وكان قربه منها يعذبها لأنها تذكر انه لا يحبها. انه تزوجها وأحضرها معه كي تنجب له ولداً وحسب. مال نحوها. ورأت ضحكة سرور في عينيه وهي تحاول مقاومته.
قالت بعصبية:

ـ كتفي كدمات ولا أتحمل أن يلمسني أحد.
ـ آسف يا عزيزتي.
وضع بقايا التفاحة في صينية الطعام.
ـ أجريت تحريات عن الفرس العربي الذي رأيته بالأمس. وأكد لي جونز الناظر ورفقة الحصان انهم لم يروا واحداً مثله على الجزيرة. الفرس العربي نادر هنا. وفرس له رأس أسود أشد ندرة.
ـ من أين لي أن أعرف أن حصاناً برياً كان له رأس أسود؟
ـ الحصان الذي تحدثين عنه كان ذهبياً ورأسه أسود. لم أتبين رأسه لأنه كان يختفي وراء رأس الحصان الكبير.
راقب لوكان وجهها العصبي الصغير وهي تتكلم وقال:
ـ وجدتك على الأرض في بداية الغابة يا كارا. كانت قبعتك قد طارت عن رأسك بعد وقوعك والشمس تضربك بحرارتها.
ـ وقد تشوش عقلي وتخيلت ... كل ذلك.
قالت كارا وهي تشير الى كدماتها فوق كتفها وذراعها.
ـ يا للسخرية. يوجد شخص هنا يعتقد انك تحبني ويهتم بي ...
ـ كارا ...
ـ نعم يا لوكان. هذا الشخص يريد أن يجرحك وذلك بأن يؤذي عروسك التي تحب.
وضحكت ساخرة. انتصب واقفاً ونظر اليها بوحشية آمراً:
ـ كفى يا كارا.

ثم انحنى فوقها ويده تمسك بالعامود خلف كتفها المرضوضة، وعيناه تلمعان. كان يرغب في اسكات ضحكاتها المريرة.
بقيت مغمضة العينين للحظات بعد أن غادر الغرفة.

حضر الغريب في موعده وبعد ذلك تناولت غداءها مع رون في غرفتها.

كانت ترتاح في فراشها وقت القيلولة تسمع من بعيد وقع الطلقات في ارض الملعب. انها كلير ونلز. هل كانت نلز تحب هذه الفتاة الجميلة الباردة كالرخام؟ قوة الجاذبية بين الشخصين غريبة ومفاجئة. هذه القوة السحرية تجذب شخصاً الى آخر بالرغم منه.

وسمعت صرخة قوية صادرة من ملعب التنس. عرفت بعد ذلك ان حادثة اصابت عين نلز وقد وضع فوقها ضماد، ربما كانت فرصته.

قالت كلير وهي تمشي بعصبية في غرفة كارا التي كان يعوزها قليل النور:

- لا اعرف كيف حصل ذلك.

كانت تنفض رماد سيكارها بعصبية.

- اولاً اصابتني وكالة فاشلة والآن اعطيت نلز عيناً سوداء. احياناً اشفق للشخص الغريب من خليج التين. احس احياناً ان شخصاً حقوداً موجود بيننا. اغرب الاشياء تحدث هنا. انظري الى براندا

- هل تعتقدين ان براندا يلوم لوكان على ما حصل له؟

- عزيزتي، انهما توأمان، كلاهما من طينة واحدة. الكراهية كالحب عاطفة قوية جداً... ولكن اخبريني كيف يمكن لفتاة رزينة مثلك ان تقع في حب لوكان؟

قالت كارا:

- لقد حصل. هل تعرفانه جيداً؟

قالت كلير بمرح:

- نعم. انه شيطان يا كارا. له مغامرات عاطفية عديدة.

- ولا تظنين انني قادرة على كبح جماحه يا كلير؟

- انني ذلك يا عزيزتي. انني احسك صادقة وذات قلب حنون. يا الهي. لا اعني جرحك وسوء السمعة. كان عليه ان يتركك وشأنك لتمضي بناء قلاع الرمل مدة اطول. انت طفلة اكثر بقليل من رون.

- انني في الحادية والعشرين من عمري. وانا يونانية وننضج بسرعة هناك. نحن نؤمن ان وظيفة المرأة الاولى هي ان تحب رجلاً وتنجب له الاولاد.

- الحب غريزي.

قالت كلير وهي تمشي بعصبية في الغرفة. رمت عقب سيكارتها من النافذة ووقفت مستمرة امام الستارة. كانت ترتدي بلوزة حمراء فوق سروال ضيق اسود.

- يحب الرجل المرأة شيء يداعب وفيه امتلاك. انا من ان ساقدح ولا زمن بالحب الوحشي. انه يثير الغضب في نفسي.

ضحكت كلير وهي تتكلم. احست كارا ان لضحكاتها معنى مخيفاً.

دارت كلير وحدقت في الغرفة الكبيرة وفي اثاثها.

- هذه الغرفة كبيرة جداً. اعتقد انك تشعرين بالضياع لو لم يشاركك فيها لوكان... انك تسمعين صوت البحر بوضوح من هذا الجناح.

- وهل تحبين البحر؟

- ليس بشكل جنوني. العاطفة احساس مرعب يجب ان نبعده عن حياتنا. البحر يذكرني بالحب وبحسناته وقساوته. لدي عمل وبحثي. وكل ما عداه يأتي في الدرجة الثانية. انا اصنع التماثيل من الرخام القاسي على الشكل الذي ارغب.

- تماثيل باردة لا حياة فيها ولا عاطفة ولا قلوب مرحة واخرى حزينة. انت يا كلير الى نوع من الناس يرضيك وانا في نوع يشقيني.

- انه سيؤلمك يا صغيرتي اليونانية.

مشت كلير الى الباب وفتحته:

- مساء الخير واتمنى لك احلاماً سعيدة، اذا كان ذلك ممكناً في هذا المنزل.

بقيت كارا وهي تفكر بحديثها مع كلير. لقد تذكرت لعائلة آل ساندفورد ومعتقداتهم ولكن جذورها كانت متداخلة بتاريخ المنزل مثل اخويها. تذكرت مثلهم بأجدادها الذين عاشوا دور الشر بما فيه من حب وكراهية دمها من معالمهم، وضربات قلبها تخفق بقوة كضربات قلب لوكان وبراند.

سمعت كارا لوكان يدخل غرفته المجاورة. انطفأت نور المشعل بسرعة وتظاهرت بالنوم. فتح لوكان باب الغرفة ونادى قائلاً:

- كارا؟

لم تتحرك ولكنها احسته بكل حواسها وهو يقف طويلاً في باب الغرفة.

قال أخيراً:
ـ تعيشين على الخبز
وعرفت بعد أن غادر الغرفة أنها لم تخدعه. انطلقت فوق وسادتها تبكي خائفة وتعجبت من نفسها... لماذا تصرفت على هذا النحو؟ لو كان ليس رجلاً صبوراً. وتصرفاتها ستبعده عنها إلى الأبد... هل هذه رغبتها؟ ألا تكفي آلاف الأميال التي تفصل خليج التين عن الجزيرة اليونانية تيلوس؟
لم تحتمل كارا الفراش أكثر. نهضت في اليوم التالي يلازمها شعور جميل بأنها استعادت صحتها. لا تزال ذراعها تؤلمها ولكن الألم قد خف كثيراً.
تناولت غداءها على الشرفة والمنزل يلفه الهدوء وقت القيلولة. ملز وكلير اصطحبا روي في نزهة بالسيارة. ولوكاس مع جوش الناظر في حقول القصب. نزلت كارا من غرفتها إلى الشرفات تتفرج على صور آل سانفلدج المعلقة على الجدران. انها وحدها في المنزل مع براند. كان براند قد دخل مكتبه بعد الغداء.
وقفت كارا أمام صورة كونان وديارميد... الشقيقين اللذين بدءا الزراعة وبنيا البيت الكبير. كان كونان ماكراً صبوراً وشقيقه قاسياً عنيد الملامح. ديارميد لم يتزوج. انه صارم مثل براند وفي عينيه نظرة قاسية. في يد ديارميد اليمنى خاتم ثمين يلبسه براند الآن لكونه كبير العائلة. مرت بقية الصور. اثارت فضولها صور نساء آل سانفلدج. بعضهن كالربيبات جميلات وربما أميرات. بعضهن فتيات بسيطات ربما تزوجن من أجل المال أو من أجل الحب الذي يسمو بحرارة في القلوب الفاتحة.
مشت كارا في الممر الطويل وسلكت الدرجات لتتفرج على بقية الصور العائلية. وبدأ الظلام يزحف إلى الشرفات داخل البيت الكبير. وصلت كارا إلى صورة السيدة الذهبية. كان الإطار في غياب نور النهار يبدو فارغاً من أي صورة. كأن لوريلا تسللت وهي ترفل بثوبها الأصفر الذهبي لتلتقي حبيبها الشاب قبل الغروب.
ارتعدت كارا ورأت نفسها تركض إلى نهاية الدرج، ووجدت نفسها وجهاً لوجه أمام براند في كرسيه المتحرك في القاعة. قال لها براند بصوته الأجش:
ـ يبدو عليك الخوف قليلاً. هل خفت من أي شيء؟

ـ المنزل كبير ومليء بالأصوات والظلال.
ـ هذه الساعة قبل الغروب، ساعة غموض. ادعوها الساعة الزرقاء مع الغسق الذي يشرق بشراب خفيف في حلقي... تريدين التين الذي كدلته؟
ـ لي. لا تحرك يا سيدي...
ـ يمكنك أن تشاركيني كأساً تعيد اللون إلى وجنتيك.
حرك براند كرسيه المتحرك بيد خبيرة وكرج فوق الخشب المصقول إلى باب المكتبة. فتح الباب بواسطة دواليب الكرسي. ودخل. تبعته كارا وقد تملكها شعور هو مزيج من القلق والسرور. القلق من الفرجة له والسرور لأنه دعاها إلى قدس أقداسه... مكان خلوته الانفرادية.
غرفة من الخشب الأسود الثمين لونه انقلبها بلون الياقوت الأحمر. الجدران مغطاة بخشب الورد ومزينة بلوحات زيتية عتيقة تمثل مناظر طبيعية للرسام الفرنسي الشهير اوتريللو. عرفتها كارا فوراً. كان لديها صديق هو رسام انكليزي علمها كيف تفرق بين أعمال هذا الأصيل وغيره من الفنانين المقلدين.
الرسوم الزيتية بديعة، وكذلك الخزانة الكبيرة المطعمة بالنحاس والأصداف. وهناك مزهرية قديمة زرقاء فوق الكتب. ارادت كارا أن تلمسها مثلما اليونانيين الذين تعشقت الجمال.
سألها براند:
ـ هل أعجبتك خلوتي؟
هزت رأسها إيجاباً. أشار إليها بيده الثقيلة التي يلمع فيها الخاتم الذهبي الكبير أن تجلس فوق مقعد كبير فامتثلت الأوامر. حرك براند كرسيه إلى طاولة فوقها ابريق ترية تلمع. وصب لها كأساً من الشراب. وضعه لها على الطاولة الصغيرة المصنوعة من خشب الورد مع بعض البسكويت الحلو. كان ينظر اليها نظرة يمتزج فيها الإدراك بالحزن. وعلى ضوء عادت إلى بسامه رأت شيئاً مأساوياً في شكله. حرك نفسها وشعرت نحوه بشفقة قوية. كم هي محظوظة لأنها تستطيع أن تحرك أطرافها وتدوس الأرض الطية برجليها.
ـ هل أعجبك الشراب؟

ضحكت وقالت:

- انه يشبه طعم العسل البركاني مع قليل من التوابل.

- هل افتقدت الجزر اليونانية؟ وهل مازال طبيخ الشرق غريباً عليك؟

- نعم، نعم ولكنه شهي. تاريخ العائلة مليء ومتنوع يا سيدي. كنت هذا الشاب الشاعر واعجب بصور اجدادك.

- كل زوجة من آل ستصنع لها صورتها الزيتية. سيكون دورك يا كارا، وربما بعد سنة من الآن بعد ان تنجبي طفلك الأول. هذه هي العادة.

ارتبكت كارا: نظرت بعيداً عنه. كان برايد يراقبها بتمعن. يحدق في وجهها وجسمها النحيل. يرى خطها وكبرياءها وشعرها الأسود المسدل.

- صورتك الزيتية ستكون آسرة ومثيرة. أراك تنظرين الى علبة الكهرمان. ناوليني إياها لأعطيك هدية زواجك.

- سيدي! انا لا انتظر منك هدية . . .

- طبعاً تنتظرين. تأخرت في انتقاء هدية لك تعجبك. اني اعلم الآن انك تهتمين بجوهر الأمور لا بظواهرها. اعطني العلبة رجوتك.

ناولته كارا العلبة الصفراء. فدار المفتاح الصغير في قفلها وفتحها ورفع عقداً كان في داخل العلبة.

- انه من العنبر القديم مزين بورود ذهبية. اركعي قربي لأشبكه حول عنقك.

ركعت كارا قرب كرسيه في خجل. واحست لمسات يديه حول عنقها حيث شبكه جيداً. ثم جلست القرفصاء ليرى كيف يبدو العقد.

- ان لك جلداً بلون الكهرمان. انه يناسبك كثيراً.

- انها هدية جميلة يا سيدي. اشكرك جزيل الشكر.

- انا مسرور لأن هديتي اعجبتك.

وامسك بكرسيه

- تسرني زيارتك الى خلوتي مرة ثانية ومشاركتي الحديث.

قالت صادقة:

- كم اريد ان اكون صديقة لك

- آه. نعم ستكون صديقين.

كانت ابتسامة باهتة ترتسم على شفتيه. ما الذي يستطيع رجل عجوز كسيح ان يقدمه لها او لغيرها غير الصداقة؟

تركته وحده بصحبة الأثريات النادرة التي يملكها. النور يضيء رأسه وكتفيه. اما بقية جسده فكان في الظلام. وسيظل الى الأبد.

٩ - العاصفة

لم تجد كلارا الشجاعة الكافية لتدخل على برايد في مكتبه. ربما ترددت بعد أن رمقها لوكان بنظرة غريبة وقت العشاء. عرف لوكان أن عقد الكهرمان كان هدية من برايد ولم يسره ذلك.

وقفت فوق سلالم التبن. ولامست العقد في عنقها. كانت لا تزال تحسب الأمور تستطيع أن تفكر ولم تجرؤ أن تتذوق لوكان أن [illegible] في فكره. ... أصابعه عليها وجسمها... ولم تكمل الصورة في [illegible] الشاطئ.

[illegible]

السماء. لم تعرف ما إذا كانت ستمطر أم أن هناك عاصفة ستهب قريباً.

ومشت فوق الرمال إلى منزل مرجاني صغير قرب الشاطئ، أمامه شرفة مسطحة. الغرفة الداخلية الطويلة مفروشة بالقصب. وفي الغرفة خزانة فيها أغطية معلقة وهناك رف من الكتب وبعض الوقود للمدفأة والقناديل. أحضرت كلارا معها بعض الوسائد ووضعتها فوق الأريكة المصنوعة من الخشب اللذين لتصبح مريحة. كانت ترتاح هنا في المساء، بعد السباحة، مدة نصف ساعة أو أكثر.

تملكتها رغبة شديدة في السباحة. تخلصت من ثيابها ولبست ثياب البحر ثم نزلت في مياه الخليج المنعزل وهي تركض. الموج عال ولكنها سعيدة بالمياه تلاطم جسمها فرحاً.

في الماء وهي تسبح كان شعورها بالحرية لا يضاهيه شعور. سبحت

بعيداً ولم تنتبه إلى العاصفة التي اجتاحت البحر تدريجياً. كانت تسبح وسط معادن ذائبة من الصخور وعنبر محيط بالصخور المرجانية في خليج كأنه غريب. ورائحة النباتات البحرية في أنفها وطعم الملح على شفتيها. اشتد زعيق طيور البحر من حولها وهي تدنو لتنقض على سمكة وتنشلها من البحر بمناقيرها حيث تتخاطفها بقية الطيور وزعيقها يتعالى في كل مكان.

استدارت كلارا لتسبح عائدة إلى البيت. ورأت سمكة كبيرة ترتطم من جديد في الصخور المرجانية وقد ظهر فكها مهدداً فوق الماء. خفقت لحظة ثم تذكرت قول لوكان: ... لا تخافي إذا صادفت سمكة باراكودا. اسبحي بسرعة إلى الشاطئ، ولا تنظري وراءك. هذه السمكة لا تخاف أبداً. المهم أن تسبحي بسرعة.

كان الشاطئ بعيداً بحوالي نصف الميل. شعرت بقشعريرة في الوراء ورأت أن الباراكودا ما تزال تتبعها. [illegible] هذه السمكة تستطيع أن تقطع رجل [illegible] كانت تعرف أنها لا تستطيع أن تسابق هذا [illegible]

[illegible]

وهي تظهر أسنانها المرعبة وتحوم في عقبها. كانت تعرف أن السمكة لن تهجم وتتركها [illegible] على مسافة أو أكثر من [illegible] وصلت إلى الشاطئ، ورأت أن [illegible] جوليوس براها [illegible] في مركب. صرخت أكثر من مرة.

- جوليوس!

لم تسمع صراخها غير طيور البحر. البحر أسود والتي كانت تتابع [illegible] دون كلل. تملكها الرعب فأحست ترتجف وبدأت تشعر بالبرد الشديد. الأمواج تتلاطم وترتفع فوق الصخرة التي [illegible] كل موجة أعلى من سابقتها. وبدت الطيور تختبئ بين الصخور هرباً من العاصفة. أحست أنها لن تصمد طويلاً بل ستجرفها الأمواج وتنزلق من فوق الصخرة إلى فكي الباراكودا. زادت الرياح سرعة حتى بدأت [illegible] قرب

الشاطىء، تمحي وتكاد تصل الأرض. بدأ المطر ينهمر ونالها منه الكثير. وبدأت تفقد الأمل في ان تصلها اي نجدة. نظرت الى الشاطىء بيأس ولما ترى حركة... لمحت هيكلاً لرجل طويل اسود يرتدي قميصاً ابيض.

صرخت على امل ان يصل صوتها اليه عبر الرياح الزاعقة:

- جوليوس! انا اسيرة فوق الصخرة. ساعدني. اسرع لنجدتي...

اسرع الرجل وفك المركب المربوط على الشاطىء. لا بد انه سمع نداءها. شكرت السيد وحسن حظها وهي ترى الشبح الأسود يجذف بسرعة باتجاهها.

كل موجة كانت تشدها بعيداً عن الصخرة التي تتمسك بها. بدأت يداها ورجلاها تفقدان الحس من شدة البرد. وبدأت اسنانها تصطك.

اقترب المركب ورأت الوجه القاسي الذي لا يعرف اللين. رأت زوجها لوكان في المركب يجذف بسرعة على ضياء البرق الذي يملأ السماء. كان لوكان يراها ايضاً نحيلة منهكة تتمسك بالصخور بجهد كبير. وضرب المركب بالصخرة. كانت عيناه الوحشيتان مرعبتين اكثر من عيني السمكة الجائعة.

كانت تتكلم وهي ترتجف برداً وخوفاً:

- خفت من سمكة الباراكودا...

- الق بنفسك...

فتح لوكان ذراعيه. وامسك بها بقوة. تكورت بين ذراعيه كأنها قطة صغيرة. واستكانت للحظات ترتاح على كتفيه. احست ضربات قلبه القوية. وضعها في المقعد بجواره وبدأ يجذف وسط الموج الغاضب الى الشاطىء. كان المركب يهتز ويكاد ينقلب كأن شيئاً يضربه بثقله. جلست كارا دون حراك تنتظر بعض الكلمات اللاذعة من زوجها ذي الوجه العابس.

- كل الدلائل كانت تشير الى ان عاصفة هوجاء في طريقها الينا ومع ذلك نزلت الى البحر وسبحت بعيداً! انت تتصرفين كالمجانين.

كانت كلمات لوكان تلسعها اكثر من الرياح الغاضبة الباردة فوق جسدها المبلل.

- كم انا سعيدة لأنك وجدتني قبل فوات الأوان.

ارادت كارا ان تبكي من شدة يأسها.

- جوليوس يظل قرب الشاطىء معظم الأحيان. ظننتك هو...

- ظننت انه هو الذي حضر لانقاذك.

- نعم. انت لا تعود من عملك باكراً...

بدأت اسنانها تصطك.

- انت مجنونة. لقد بقيت فوق الصخرة فترة طويلة. لولا انني اردت ان امشي قليلاً وخرجت لبقيت فوق الصخرة الى الآن.

لماذا لا يبدي لها حنانه واهتمامه وانشغال باله عليها؟ لقد اراد ان يمشي قليلاً وها هي الآن عكرت عليه صفو نزهته المسائية واضطرته لانقاذها.

واخيراً وبعد عراك عنيف مع الموج الصاخب كأنه كابوس او منام مزعج وصلا سالمين. قفز لوكان وربط المركب ثم حمل كارا بين ذراعيه ومشى بها فوق الرمال تلفحهما الرياح والأمطار ووصلا الى الخليج الصغير. فكر لوكان ان يوصلها الى المصعد الكهربائي ولكنه خاف ان تتعطل الكهرباء كعادتها خلال العاصفة وان يعلقا في منتصف الطريق. لذلك حملها الى منزل الشاطىء الصغير.

صعد بها الدرجات القليلة وفتح الباب. انزلها على رجليها وعلى هدى البرق استطاع ان يصل الى الطاولة ويشعل القنديل. بدأ قلب كارا يضرب بعنف شديد. واغلقت باب المنزل خوفاً من العاصفة.

- اخلعي ثياب البحر بينما اشعل المدفأة واسخن بعض الحساء.

ذهب لوكان الى خزانة المؤونة واخرج بعض المعلبات. كان ظهره الى كارا وهي تخلع ثياب البحر وتنشف نفسها. ورمت ثيابها ارضاً وربطت المنشفة حولها. استدار لوكان يحمل بيديه علبتين.

- حساء البندورة ولحم السمك. بسكويت وزبدة وبعض القهوة. ليس لدينا ماء. سنكتفي بالعصير الموجود عوضاً عن الماء. عليك بالقليل من العصير الآن.

صب لها قليلاً من العصير واعطاها الكأس لتشربه. امسكت المنشفة بيد واحدة وهي تشرب باليد الثانية. لم تترك نقطة واحدة.

اشعل لوكان المدفأة وفتح علبة الحساء، فوضعها في صحن معدني عميق وتركها تسخن فوق المدفأة. ثم نظر الى كارا وقال:

- هل ترغبين في المزيد من العصير؟

هزت كارا رأسها نفياً. وصب لوكان لنفسه المزيد. لون عينيه بلون الزبرجد الأخضر وشعره الأحمر فوق جبينه قد جف. كان يجلس مطمئناً كأنه في بيته.

قفزت كارا من مكانها مرة ثانية بعد ان سمعت صوت شجرة تتكسر خارج المنزل. كانت متأكدة قد اصابتها وقلعتها. الريح والبحر يزمجران سوية كأنهما يتقاسمان بعضهما في شدة الغضب. قالت:

- هل ستبقى هذه العاصفة طويلاً ام تنتهي خلال ساعة او اكثر؟

قال مجيباً على سؤالها وفي عينيه نظرة عابثة:

لن تنتهي هذه العاصفة قبل ساعات. ربما ستبقى الليل بطوله. من يعرف؟

ليلة عاصفة، ليلة مع لوكان. خفق قلبها خوفاً. لا يوجد هنا اي باب لتغلقه دونه. تركت الطاولة ومشت الى حيث يوجد رف الكتب. كانت تساعدها في تمضية الوقت. تصفحت العناوين. واخذت كتاباً لم جلست في كرسي مريح. حاولت ان تبعد عنها فكرة انها انفردت بلوكان لأول مرة بعد ليلة الزفاف في الغابة. سألها متكاسلاً:

- هل وجدت كتاباً مثيراً؟

كان يدخن سيكاره وقد مدد رجليه مسترخياً.

لقد مرت ساعة منذ بدء العاصفة

قالت دون ان تنظر اليه:

- قصص لأوسكار وايلد.

- الحكيم الايرلندي، الخفيف الظل. الرجل الايرلندي يختلف بروحه الشاعرية بفطرة من الولادة. هل تعرفين ذلك؟

- هل تريد ان تقول لي انك تعيش مأساة؟

ضحك قليلاً وقال:

- انا اركب الفرس واجذف واذهب الى الحقول واقطع القصب مع العمال. استطيع ان انظف سلاح الشيء... واحمل المرأة بين ذراعي... ولكن برأيه لا يستطيع ان يفعل اي شيء من هذا القبيل. هو الذي يعيش مأساة. اليس كذلك؟

- لعلك قرب المدفأة. المكان هنا دافئ.

مشت الى حيث النار. وامسك بها لوكان بخشونة واخذ يجففها بمنشفة. شعرت بقلبها يقفز الى حنجرتها.

امرها قائلاً:

- لا تتلوي!

كانت عيناه اللامعتان تسيران عليها وهو يمر بيديه فوق جسمها في عملية التنشيف. كانت مرتبكة جداً. وذهب لوكان الى الاريكة ليجلب لها حراماً صوفياً بعد ان انتهى.

قال آمراً:

- خذي هذا الحرام الصوفي ولفي نفسك فيه.

قالت بكبرياء:

- معي ثيابي. استطيع ان البسها.

هز لوكان رأسه موافقاً. وبدأ يضع البسكويت والزبدة والمخلل فوق الطاولة المستديرة. ووضع علبة لحم وملأت رائحته ارجاء الغرفة. كانت كارا تلبس ثيابها باسرع ما يمكن. قال:

- هل ما زلت تشعرين كأنني اصطدتك بشبكة؟

مرت كارا بأصابعها فوق شعرها المبلل. ولاحظت نظر لوكان الى عنقها حيث ما زال العقد يطوقها. حاولت ان تخفيه بيديها. قال لوكان وجلس الى الطاولة:

- الحساء جاهز.

تبعته كارا. وقفزت من مكانها بعصبية حين لمع البرق في الغرفة ودوى صوت الرعد الخائف القوي. اضاف وقد فقد صبره:

- اقفل الستائر.

كان مزاج لوكان معتدلاً اما هي فكانت تشعر بالامان لأنها بعيدة عن العاصفة في الخارج.

سألته وهي تأكل البسكويت والزبدة:

- هل يظن الأهل حقاً اننا آمنان في منزل الشاطئ؟

- كنت امضي ليالي عديدة هنا في السابق.

كان لوكان يتباهى بمغامراته.

تذكرت برايد وقد احاط نفسه بالأشياء الجميلة التي لا حياة فيها. قالت:

- انت تفعل لبرايد كل شيء. تتحمل لأجله من اي شيء. احياناً اشعر انك ترغب ان تكون بعيداً عن خليج النرد بآلاف الاميال ولكنك تبقى هنا من اجله...

- لأريح ضميري؟

- لا اريد ان اجيب عن هذا السؤال يا لوكاك.

- ولم لا؟ نحن الآن وحدنا. فرصة مؤاتية للمصارحة بالحقيقة. انت نادمة على زواجك مني. أليس كذلك؟ لقد ارتبطت برجل لا تستطيعين ان تحبي.

ضحكت ساخرة:

- انت تتكلم معي عن الحب. وهل استطيع ان احب رجلاً يحب امرأة اخرى؟ لا اظنني استطيع. انا يونانية مغرورة بذلك.

وقف لوكاك كالطود:

- مغرورة. انا لا احتمل المزيد من الفخر. والتي كانت مغرورة لأنها تزوجت من آل سالفدج. كانت تركتنا انا وامي نتصرف كأننا ماردان صغيران نفعل ما نشاء. نركب الفرس بوحشية حتى نتعبها. نلهو بقلوب العذارى. كأنا انا لست الوحيد من آل سالفدج الذي اخطأ. هل تعتقدين ان برايد كان دائماً شهيداً؟

حدقت كأنا بزوجها. ورأت بصيصاً يلمع في عينيه. كانت عاطفة حنونة مكبوتة تطل منها وسط السكون. وسمعت المطر ينهمر بغزارة فوق السقف والموج الصاخب يتكسر على صخور الشاطئ.

هل كان صوت العاصفة الرهيب هو الذي جعلها تقف من مكانها ام نظرة لوكاك المستعرة حين امسكت بعقد الكهرمان الذي اهداها اياه برايد؟ مشى لوكاك الى الباب. ولوهلة ظنت انه سيخرج الى العاصفة. وقف وظهره الى الباب وقال:

- هذا العقد كان ملك لويلا سالفدج. كان في جيدها يوم ماتت. هل اخبرك برايد بذلك؟

هزت رأسها نفياً. وكرهت لوكاك لأنه اخبرها بذلك.

- انت تكره ان يعطيني برايد اي شيء. انك تغار منه. كنت دائماً تغار منه...

مشى لوكاك اليها وامسك بالعقد وشده. انفرط العقد وتناثرت حباته الذهبية ارضاً. وجرح كتفها وكادم من الشبك الذي انكسر. كانت تصرخ فزعة وهي ترى لوكاك يدوس بوحشية فوق الخرزات ويحاول سحقها، وكالحيوان المتوحش. ركضت كأنا الى الباب وحتت تحاول الهرب. دخل المطر والريح الغرفة ولكن لوكاك امسك بها واغلق الباب برجله.

لم تر لوكاك ينظر اليها نظرة مخيفة كهذه ابداً. وارتعشت من رأسها حتى اخمص قدميها... كانت ستقع ارضاً لو لم يمسك بها ويضمها الى صدره بقوة وهو يقول:

- انت جاهدة في ارضاء برايد. أليس كذلك؟ حسناً. سنعطيه الشيء الوحيد الذي يريده اكثر من اي شيء آخر... سنعطيه الولد.

وبدأ يعانقها بوحشية. حملها بين ذراعيه الى الغرفة وفي عينيه نار هائج كانت تشتعل فيه. واطفأ نور القنديل.

بقيت العاصفة تزمجر طيلة الليل. وفي الصباح كان الهدوء العميق يلف المنزل ولم يعكر صفوه صوت عصفور. تحركت كأنا قليلاً. كأنها نامت نوماً عميقاً تحت اشعة الشمس الحارة وقد نسيت اسمها او من تكون. واحست ذراعاً قوية تربطها بالفراش. كانت اصابع يدها تداعب شعر لوكاك الأحمر وسحبتها عن الشعر كأنها احترقت. حدقت بوجهه الهادئ، وهي ترفع ذراعه عن جسمها. واجفلت كأنه غريب لا تعرفه. نزلت من السرير ولبست ثيابها. الفجر يطل من النوافذ والستائر منفرجة يداعبها الهواء. تذكرت ان لوكاك نهض اثناء الليل وفتح النوافذ والستائر بعد ان هدأت العاصفة ثم عاد الى السرير.

تركت منزل الشاطئ، ووقفت فوق السلالم تسترد انفاسها. ثم بدأت تسير باتجاه البيت الكبير وهي تكبت آلامها...

لقد هدأ كل شيء. حتى لوكاك الذي عاملها دون رحمة او حنان. كان مرتبكاً من الغضب... الغضب لأنها ليست كاريس. تذكرت عناقه الوحشي العنيف. واسرعت تركض على سلالم الدرج.

انه لا يحبها. سترحل اليوم بعد ان ترتب حقائبها. ستترك البيت

الكبير، هذا البيت المحطم لأن الولاء به متضارب. وحسمها التحول هو الجسر الذي ستعبره لوركان ليصل إلى هدفه . . أولاد.

ارتفعت الشمس في السماء، والمنزل الكبير يكتنفه الهدوء في الصباح والنور يتسرب إلى نوافذه العتيقة الصامتة.

مرت بأصابعها على جدرانه حيث كانت عقد الكهرمان وتحفات القاعة الواسعة وهي تلقي حولها نظرة رعب كما فعلت يوم وصلت إلى هنا وهي عروس. مرت بالقاعة حيث كان الكلب الأسود الكبير. وكان عادة ينام أمام عتبة غرفة سيده ولكنه كان غائباً عن البيت.

مرت بيدها على رأسه:

- هلا يا عم.

كان كالأسد الرابض ولكنه أليف مع من له علاقة وثيقة بسيده. نبح قليلاً كأنه يسألها عن مكان سيده. فربتت على رأسه وابتسمت له وقالت:

- أنت لا تسأله أي سؤال. حاستك تؤكد لك عنه. إنك لا تشك في حبه لك. ولا تخاف منه.

مشت إلى جناح الزهرة وتبعها جنب. الغرفة باردة صباحاً. ونظرت إلى الساعة قرب السرير. ستحضر إحدى الخادمات بعد قليل بفنجان الشوكولا الساخن مع القرفة. كانت معتادة على تناول الشوكولا صباحاً مثل لوركان، وكذلك ركوب الخيل عند الفجر. وانتهت وهي تفتح خزانة ثيابها. فتحت حقيبتها وبدأت تجمع ثيابها. سمعت لوركان يدخل الغرفة المجاورة فقفز قلبها وخرج حيث بثلاثة سيده. فتح الباب وظهر لوركان يسد عتبة الباب. احمرت كأنما يكن حواسها وكان يحدق في حقيبتها والثياب التي بداخلها:

- ما هذا؟

ومشى بسرعة إلى الفراش حيث الحقيبة.

- سأتركك يا لوركان. سيحملني جوليوس على طوافه إلى فورت فرناند، إذا سمحت له. ومن هناك أسافر إلى الكاريبيك وأستقل الطائرة إلى أوروبا.

سألها بخشونة:

- أتمضين إلى الديلوس؟

- ليس فوراً.

كانت تحاول ألا تُظهر يديها ترتجفان.

- أرغب في الانفراد بعض الوقت . .

- هل هذا معقول؟ هل تعتقدين أني تركتك تغادرين بهذه السهولة؟ هل نسيت الليلة الماضية . . هل جعلتنا عروسين بدلاً من أن تجعلنا زوجاً وزوجة؟ يمسك بكتفيها وأدارها إليه. كانت تعابير وجهه قاسية ولون عينيه رمادياً بارداً.

- سنظل عروسين إلى الأبد حتى لو حملت لك ولداً سأربيه بعيداً عنك في بيت بلا حب، بيت تشتاقين فيه وليس هنا في بيت سيبقى الشمس حيث الزهرة تستكين ليست بدلاً من التعاسة!

حين صمتت قليلاً ولا تعرف ما الذي كان يحصل لو لم تسمع صرخة لوريا وليست يقع في القاعة ثم يتحطم.

حدق لوركان بعيني كارا المرعبتين الواسعتين. وتركها وهو يسرع خارجاً من الغرفة. تبعته وقد انهارت أعصابها. ومن الشرفة المطلة على القاعة شاهدت الثريا الكبيرة وقد انهارت وتناثرت شظاياها على أرض القاعة. كانت قطع الكريستال بلورية تختلط مع قطع من الحصى والخشب الذي وقع من السقف. وشبه العمر تركتها. كانت روح فتاة صغيرة في مشيتها الحمراء وثوب الأبيض تبرز من تحت الأنقاض. الباردة الصغيرة الملقاة مكومة فوق الأرض وسط الركام.

- روزا!

أسرع قلب كارا خوفاً وهي تصرخ والقاعة ترجع صدى صرختها وركض لوركان على الدرج وقد سيطر عليه الألم المبرح والكرب وهو ينحني فوق الجسم الصغير ويخلصه من شظايا الزجاج المحطمة بينما الأبواب تفتح والخدم يتراكضون وقد خرج جوليوس من مكتبه فوق كرسيه المتحرك ووجهه متجهم.

سألت كارا وقد ظهرت بثوب فضفاض ملطخ بالتراب وعلى خدها لطخة من الطين.

- ما الذي حدث؟

- سقطت الثريا وكانت روزا تحتها مباشرة تقريباً . .

- روز؟

تمتمت كلير متضرعة ثم ركضت الى نوكان حيث كان يرفع روز بين يديه وهي تطوق عنقه.

كان في فورت فرانك مستشفى ولكن الطبيب قرر أن تعالج روز في البيت الكبير، لأنه وجد أنه ليس من الحكمة أن تؤخذ هذه الصبية المرتجة في المخ في رحلة طويلة براً أو بحراً. كان لدى الدكتور غير آلات للتصوير على الأشعة تحملها سيارة. وحملها فوراً الى البيت الكبير وعالج بواسطتها روز. وظهر ان هناك كدمات خارجية ولا وجود لأي كسر في الجمجمة. حمد الله على ذلك ونظف لها جروحها وكدماتها.

قالت كلارا:

- سأعتني بها في غرفتي.

ولفتت انها لا يمكن أن تغادر خليج الشين في مثل هذه الظروف. انها تجيد خدمة المرضى وكانت قد اعتنت سابقاً بعمتها سوفولا قبل وفاتها.

قالت كلير:

- انا لا انفع مع المرضى ولا احسن خدمتهم او الاعتناء بهم.

كانت كلارا تعلم ان كلير ليست انانية وانها تحب الصغيرة اكثر بكثير مما تظهره للجميع. ووقفت كلير في القاعة تحدق في السقف حيث ظهرت الفجوة الكبيرة بعد سقوط الثريا مع اسلاك نحوة خرجت من مكانها...

كانت كلارا في الشرفة حين رأت نيك يطلع الى كلير مواسياً ويلف ذراعه حول كتفيها. كان وجهه خائفاً. رأته يكلمها ويهدئ من روعها وهما في طريقهما الى غرفة الاستقبال.

خرج بوليه فوق كرسيه المتحرك واخذ يدور حول الركام. هل انتابه اليأس لأنه لا يستطيع ان يصعد السلالم ليبقى بجانب الطفلة؟ كان يبدو عليه الاهتمام. انه يحب روز الجميلة... الطفلة التي تحمل دماء آل سالفدج ولها لون عيونهم وشعرهم.

حملت كلارا امتعتها الى غرفة روز وعادت مسرعة الى جناح الزهرة، وكادت تصطدم بالطبيب.

- آه، اريد بضع كلمات معك يا سيدة سالفدج. الفتاة الصغيرة تحتاج للرعاية في الأيام القليلة المقبلة. ارجو ان تكوني ممرضتها. انا استطيع ان

اطلب لها ممرضة قانونية ولكن ذلك يحتاج الى وقت. سأوكل اليك امر العناية بها.

ابتسمت له كلارا قائلة:

- سأعتني بها يا دكتور. روز تهمني كثيراً.

قال الطبيب:

- افهم شعورك يا مدام، روز طفلة مرحة. ومن الحقائق الغريبة ان هؤلاء الاطفال يتفوقون بالجمال والذكاء على الاطفال العاديين.

ارادت كلارا ان تسأل الطبيب ما اذا كان يعرف والدة روز ولكنها امتنعت... لا شك ان والدتها كانت تحب هذا الرجل حباً جنونياً ولم تدرك ما سيكلفها هذا الحب من ثمن.

دخل الطبيب معها الى غرفة روز. وكان نوكان يقف قرب السرير ناظراً الى وجه الطفلة بذهول. كان شعر روز الأحمر يفترش الوسادة بينما ضماد ابيض يلف رأسها.

سأل نوكان:

- هل هي بخير يا دكتور؟ انها طفلة الوحي.

- انها تعاني من ارتجاج في المخ. تحتاج لراحة تامة. لقد سألت زوجتك ان تعمل ممرضة لها. ارجو ان توافق انت على ذلك.

- اني اوافق بالتأكيد ولكن اليس من الأفضل ان تجلب لها ممرضة متخصصة؟

- انت تهتم بالطفلة. ولكني متأكد ان زوجتك تستطيع ان توفر لها خدمة ممتازة. سأمر عليها في اوقات معينة. وربما بقيت الصغيرة دون وعي ليوم او اكثر.

حدق نوكان في زوجته ملياً ثم تركها ومشى الى الغرفة الزجاجية حيث سرح بصره بعيداً في البحر الواسع. كان الطبيب يعطي كلارا تعليماته الاساسية.

انقضى يوم في غرفة الطفلة والساعة تدق ببطء. جلست كلارا على كرسي عميق قرب سرير روز وفي حضنها كتاب مفتوح لم تقرأ فيه اية كلمة. كانت تستمع الى صوت البحر الغاضب وهو يضرب الصخور في الخليج. المياه تتدفق وتلطم الساحل كأنها تود ان تأخذ من جديد ما اعطته لآل سالفدج في

الماضي.

انحنت كارا فوق رو ووضعت كفها فوق جبينها لتقيس حرارتها. كانت حرارتها مرتفعة الليلة الماضية وها هي باردة ترتجف. جلست كارا تحدق بها وتتمنى ان تفتح رو عينيها وتعود الى وعيها. مرت دقائق ولكن رو لم تفتح جفنيها.

كانت ذكرى ليلتها مع لوكان تلاً كيانها. ذكرى منزل الشاطئ، والعاصفة الهوجاء، البرق والرعد وعناقه. لم تعد تذكر ما قالت او ما شعرت به. كان عاشقاً مجنوناً ولا مهرب منه. جعلها تصمم على ان تترك الجزيرة وتهرب منه ولكن الظروف لا تسمح بذلك الآن. انها بجانب الطفلة التي تحب. عندما تشفى سوف تكلمه كأن بينها هدنة مؤقتة. هو يعرف انها سترحل بعد شفاء رو، هي تعرف انه سيمنعها... ليس بسبب حبه لها ولكن لأنها ربما تحمل ابنه... الذي سيرث الأملاك.

حاولت كارا جاهدة ان لا تفكر به. نظرت حولها في الغرفة. لقد غيرت شكلها قدر المستطاع. جلبت العاب رو من غرفتها الى هنا. وكانت لا تجلس مع الطفلة حين تلعب كارا ترتاح قليلاً وتستحم. وربما عادت كانت تحمل كيساً مليئاً بالألعاب. نظرت اليها دا بعين الجارحة ولم يعجبها الحال وقالت:

ـ هذه غرفة مريضة يا سيدة كارا ولا تستطيعين ان تضعي فيها كل هذه الألعاب.

ـ ستراها رو عندما تفيق من غيبوبتها. انها تساعدها على ان تنسى الحادث الرهيب الذي حصل لها.

قالت كارا ذلك وباشرت بترتيب الألعاب بحيث تبدو كأنها قد هيئت لاستقبال رو بين ذراعيها عندما تستفيق. زمت دا شفتيها امتعاضاً وخرجت غاضبة من الغرفة.

وجدت كارا الحدق العرائس تنام على وجهها. نهضت لتجلسها. انها لعبة رو المفضلة جنجر. وكان قد اهداها ابوها لوكان وهي تنام معها دائماً في السرير.

امسكت كارا بالعروسة واجلستها فوق طاولة الزينة قرب المرآة. وشهقت من الألم لأن شيئاً حاداً وخزها في اصبعها. تفحصت الدمية جيداً

فلقد دبوس حاد شك في رأسها. كان دبوساً حاداً كالمخرز. وربما كان هناك يوم صنعت العروسة وضع بداخلها حين الحشو.

مخرز حاد يخرز في رأس العروسة التي تحبها رو كثيراً. وها هي تنام مجروحة ورأسها تلفه الضمادات.

حملت اللعبة والمخرز في رأسها بيدين مرتعشتين ووضعتها في جارور واقفلت عليها. ثم عادت مسرعة الى رو تحاول ان تحميها من خطر ما. هناك شخص في هذا البيت يحاول ان يؤذي الأشخاص الذين يحبهم لوكان. شخص يكرهه ويلومه من اجل حادث بولد. شخص دوخ رو ليلاً واخالها... شخص ارعب كارا وكاد يدهسها بحوافر حصانه. شخص تسبب في سقوط الثريا فوق رو وكاد يقتلها... سمعت كارا وقع اقدام في الغرفة المجاورة.

ـ لوكان؟

ناداه وتمنت ان يكون هو. انه حاجز منيع ضد اي خطر يحيق بها.

فتح الباب بين الغرفتين ودخل لوكان. كان يلبس كنزة خضراء مع قبة مرتفعة ويحمل كأسين ساخنين بين يديه. وقد تجمع ضوء القناديل في عينيه فأخذتا تشعان.

ـ شراب ساخن يفيدك.

ناولها كأساً ووقف ينظر الى رو.

ـ هل من تحسن؟

ـ منذ برهة تحركت قليلاً حين لمستها. تناولت كارا الشراب الساخن تلوه بالتوابل وأحست بالمخططات السوداء التي داهمتها منذ فترة تمحي بعد ان حضر لوكان.

ـ ضع يدك فوق شعرها. انا واثقة انها ستشعر بوجودك قربها.

مرر لوكان يده فوق شعرها. وتحركت شفاه الطفلة كأنها تتمتم باسمه. كانت كارا متأكدة ان الرابطة بينهما هي رابطة دم واحساس ينبع من القلب. لماذا ترك براين يتبنى الطفلة التي هي ابنته؟ هل كتب عليه ان يعطي كل ما يملك الى براين؟ هل عاملها بوحشية وحطم عقد الكهرمان لأنه يتمنى ان يتحرر من اخيه ومنزل اخيه؟

وقف لوكان تحت ضوء القنديل يشرب شرابه الساخن. كم هو جذاب

وشي وعاث. رغبت كارا الا تلمسه بحنان او تتكلم معه. ولكن ماذا ستقول؟ لقد اقسمت انها اذا حملت ابنة ستربيه بعيداً عنه وعن البيت الكئيب.

بقي لوكاك معها بجانب رو لليلة الثانية. غفت كارا قرب الفجر في كرسيها وحملها لتذهب لترتاح فوق الاريكة في الغرفة المجاورة. وبعد قليل عاد اليها ويداه الدافئتان على كتفيها وهو يقول بلهفة:

ـ استيقظي يا كارا. رو فتحت عينيها ولكنها لا تعرف اين هي.

حمل لوكاك كارا الى الغرفة الثانية حيث كانت رو مفتحة العينين. كانت تحدق دون ان تعرف كارا وتنظر الى لوكاك كأنها تفكر فيمن تكون. فتمتمت:

ـ اين جنجر؟

ارادت كارا ان تبكي وهي تقول:

ـ لا يا عزيزتي ليس تلك العروسة.

رمقها لوكاك بنظرة استغراب. فتحت كارا الجارور واخرجت العروسة التي خبأتها. رأت لوكاك يحس. ثم مشت الى رو واعطتها جنجر. قال لوكاك وقد تحير:

ـ انها تتذكر لعبتها المفضلة.

فقالت كارا:

ـ ربما فقدت الذاكرة مؤقتاً.

عندما حضر الطبيب اكد لها ان حالتها في عدم التعرف عليها عبارة عن فقدان مؤقت للذاكرة تحاول الطفلة عن طريقه ان تنسى صدمتها والمها وخوفها. وبعد رحيل الطبيب اخذها لوكاك الى الغرفة الزجاجية وشكرها على سهرها في رعاية رو.

سألها وهو يحرك يديها بيديه:

ـ هل ستبقين معها اكثر ما يمكن؟

شعرت انه يتحسس خاتم الزواج في يدها اليسرى.

ـ كلير وعدتني ان ترعاها حتى تأخذي قسطاً من الراحة.

ـ رو الآن افضل بكثير. وكلير فتاة خيالية لا تعرف كيف ترعى مريضة. كان قلبها يضرب بسرعة وهي تفكر ان تخبره عن العروسة والشرور للغرور في رأسها. ربما يسخر منها... لا يمكنها ان تتهم احداً في

المنزل بالسحر او الشعوذة لجلب الشر والضرر...

ابتعد قرب المسرج في الساحة بجهول. ويبدو كأنه مشيراً الى ان الوقت قد ازف للعمل. عليه الذهاب الى المصنع حيث سيستلم بعض الالات الحديدة.

ـ هل انا ذاهب.

امسكت كارا من كوعها كأنه يحاول عناقها، وطبع قبلة اخيرة، لا طعم لها ثم مشى الى سرير رو وودعها.

مررت كارا يدها على خدها حيث ترك مرارة شفتيه. مسكينة الصغيرة رو... قالت في نفسها... لن اخبرها لأنه يحبها ولا يحبني...

مرت ايام اخرى وبدأت رو تستعيد نشاطها وحيويتها. وشرح الطبيب ان فقدان الذاكرة هو محاولتها ان لا تتذكر الساعات الرهيبة التي كانت اكثرها لا تستحقها. هذه اللحظة الرهيبة التي لا يمكنها مواجهتها. لقد اخبرت كارا انها رأت نفسها في المنام تقع من الارجوحة وتجرح. ووافقتها كارا على تصوراتها محاولة ان تطمئنها.

ـ تعالي نأكل الفطور. انا اكيدة انه سيسمح لك الطبيب قريباً بمغادرة الفراش عدة ساعات.

كانت كارا تشجعها على الطعام وتفتح لها شهيتها بأن تضع لها الشوكولا الساخنة في كوب مزين بالعصافير الملونة، والبيض المسلوق في صحن مزخرف. اكلت رو معظم فطورها. وبدأت كارا ترتب لها غرفتها بينما رو تلبس الاسوارة التي اهداها اياها لوكاك والعقد الملون الذي صنعه لها جوليوس من اصداف البحر.

ـ انني اميرة ايرلندية. اليوم سأكمل الطاعة من الرعايا. اركعوا يا عبيدي.

ومدت رو رجليها فوقعت كل العرائس المصفوفة على وجهها، وضحكت مسرورة.

ـ هل انا اشبه ابي في شكلي؟

كانت رو تنادي لوكاك منذ الحادث... والدي. في البداية لم تتعرف الى كارا. اخبروها انها زوجة لوكاك. فقالت:

ـ هل ماتت امي منذ زمن بعيد؟ وهل حزن والدي طويلاً قبل ان

يتزوجك يا كارا؟
اجابتها كارا:
ـ يا عزيزتي، انا لا احب ان اسأله مثل هذا السؤال.
سألت رو:
ـ ربما تتساءلين ما اذا كان قد احبها اكثر مما يحبك؟ انت لطيفة ومحبوبة يا كارا. اعتقد ان والدي تزوجك لطيب قلبك.
اجابتها كارا، واقترحت ان تلعبا سوية في تركيب القطع المصورة:
ـ اعتقد ذلك.
وكلما حاولت الفتاة فتح موضوع والديها كانت كارا تجد طريقة لتغيير مجرى الحديث. هذا الصباح اقترحت عليها ان تمشي قليلاً على رجليها وتجلس في الشرفة تحت اشعة الشمس لساعتين او اكثر. قالت رو:
ـ اشعر اني ضعيفة ولا استطيع المشي.
ساعدتها كارا في ارتداء ثيابها، وقالت:
ـ سيحملك صموئيل الى اسفل.
كانت الانقاض المتراكمة في القاعة قد ازيلت. وبدا العمال شرخاً كبيراً في السقف. وامر لوكاس ان يستدعي خبيراً في البناء وطبقات الأرض وعوامل التعرية ليكشف على الصخور التي بني البيت الكبير فوقها. قال برايد:
ـ هذه الصخور قوية كالحديد وسيقف هذا المنزل اكثر من مائة سنة اخرى.
قال لوكاس وقد نفد صبره:
ـ كيف تؤكد ذلك؟ كلنا يعرف ان البحر يطبق على الاساسات وهي تستلم ضربات متواصلة كلما كان البحر عالياً والموج صاخباً. انا واثق من ان العاصفة الليلة الماضية قد تسببت في وقوع الثريا.
قال برايد:
ـ حسناً اطلب خبيراً اذا كان ذلك يهدىء من روعك ويريحك.
اصبح الجو في البيت الكبير مكهرباً كأن العاصفة تعيش فيه. كانت كارا تفرح مع رو بخروج المنزل. تمشي خلف صموئيل الذي يحمل الصغيرة بين يديه محملة بالقصص والالغاز والعرائس الملونة. الشرفة مليئة بالزهور

المرجانية الملونة وزهور الحصاد ترتل ترانيله الرتيبة. تجلس هي ورو امام البركة حيث نوافير الماء تترقرق. وكانت تشعر بحيويتها ترتفع هنا بعيداً عن جو البيت الخانق.
كانت رو تركض حول البركة:
ـ كارا، الا تظنين ان البيت الكبير يشبه القصر المسحور... فيه تنين وامير ونحن نعيش تحت رحمة سحره؟
سألتها كارا:
ـ اي نوع من السحر؟
ـ لا اعرف بالتحديد. هل تعرفين قصة الاميرة والضفدع؟ انه امير مسحور كان يعرف ان الاميرة تقع في حبه سيتغير شكله من ضفدع سخيف الى امير جميل.
سألتها كارا:
ـ وهل وقعت الاميرة في حبه؟
ـ اعتقد ذلك. كل قصص الحكايات تنتهي نهاية جميلة ولكن ذلك يختلف في الحياة. اخبريني هل تعتقدين ان عمة تقع في حب تنين؟
ـ عمك ضفدع؟
قالت رو:
ـ حسناً الضفدع هو تنين صغير. الا تعرفين ذلك؟
قالت كارا وهي تردد اغنية يونانية قديمة:
ـ عرفت الآن.
قالت رو:
ـ احب صوتك.
قالت كارا:
ـ لو كان عندي قيثار لعزفتها لك.
ـ غنيها لي.
ـ انا لم اغن اغنية يونانية منذ زمن بعيد... عليك ان تصدقي لأن الاغنية تعطي صدى وقرع الزيتون في السلال الكبيرة زمن القطاف.
قالت رو بحماس:
ـ كارا، عليك ان تعلميني كيف اتكلم اليونانية.

- هذا يستغرق وقتاً طويلاً يا صغيرتي.

قبلت كارا اليد الصغيرة ووضعتها على جبهتها وقالت:

- هذه هي الطريقة اليونانية التي تقول . . . الله يحرسك.

كانت تمزح مع الصغيرة. واحست كأن ظلاً قد حجب نور الشمس عنها وسمعت الرياح تزمجر وسط حقول القصب واصوات الاجراس المعلقة فوق باب الشرفة تتحرك كأن شيئاً قد مر. حضر صموئيل يحمل لها البوظة. وسأله كارا ما اذا كان البحر عالياً.

- انها الامواج التي تدحرجها الرياح في ظهرها وهي التي تحركها يا سيدتي. ان التنين الكبير يهدر ويزمجر.

بقيت كارا صامتة تفكر . . . ان التنين الكبير يزمجر.

١٠ - والدة رو

مرت ليال اخرى. وذات ليلة مقمرة استفاقت كارا من نومها على صوت صهيل فرس في باحة المنزل. كانت حوافره تضرب الحصى المرصوفة فوق الأرض. وانصتت تستمع. كانت تعرف ان لوكان يركب فرسه احياناً في ضوء القمر. ولكن الوقت الآن بعد منتصف الليل. خرجت كارا من فراشها ووقفت قرب النافذة تحاول ان ترى الراكب والفرس من غرفة لوكان التي كانت تستعملها الآن لترعى رو. كان لوكان ينام في غرفة اخرى. ولم تستطع ان تبين الراكب او الفرس من النافذة. لبست روبها ونزلت الى الشرفة حيث كان القمر ينير الباحة. اطلت من نافذة الشرفة فوق التلال. وكانت صامتة كالشبح وقد حبست انفاسها حين رأت الحصان. كان ذهبياً ورأسه اسود كثيف الشعر. حضر راكبه واعتلى السرج ودفعه بسرعة من الباب الخارجي الى الطريق العام. وكان راكبه طويلاً عريض المنكبين يغطي وجهه جيداً بقبعة كبيرة لها اطار عريض تشبه قبعة لوكان التي يرتديها في الحقول.

اختفى الفرس وراكبه في الليل وبقيت كارا ترتعد وحدها في الشرفة. هل كان راكب الحصان لوكان؟ ام انها تمشي في حلمها وتعيش في كابوس خانق؟ هل من المعقول ان يكون لوكان هو الذي حاول ان يوقعها ارضاً في حقل القصب؟

ارادت ان تسرع الى الغرفة التي ينام فيها لوكان ولكنها ترددت. ماذا يحصل لو فتحت الباب ولم تجده؟ ركضت عائدة الى غرفتها واغلقت الباب خلفها بسرعة. دخلت فراشها وهي ترتعد. واغمضت عينيها تطلب النوم

ولكن عقلها الباطني كان مستيقظاً وصورة راكب الفرس لا تفارق مخيلتها.

بدأت تتهرب من لوكان وتبتعد عنه. عندما يحضر من الحقول تكون مع روز في الطابق الأرضي بينما يصعد إلى غرفته ليستحم ويغتسل. وعندما يهبط هو إلى القاعة تصعد هي وروز إلى غرفة النوم. تبقى بصحبتها تلهو وهي تقرأ لها في كتاب خرافات لافونتين.

في غرفة الطعام كانت كارا تشعر بالاطمئنان حيث يترأس براند الطاولة ويجلس نارز وكلير أمامها. كانت كلير في ثوبها المخملي الأسود تتكلم ببراعة عن الفن والشعر وتتكلم [illegible] المفضلة لديها بينما يبقى نارز صامتاً، منطوياً على نفسه كأنه أصيب بضربة قاسية حديثة لا تزال تؤلمه. هل هذه الضربة من صنع كلير؟ كان نارز يحبها وهي لا تؤمن بالحب لأنه امتلاك ويتطلب [illegible]. إنها تحب الحرية والانفلات من كل القيود. نارز يحب الأطفال ولن يرضى بزوجة تفضل التماثيل الحجرية على الخلف والضحك.

ستكون [illegible] إنها تفهم وضعه. هي وهو في مركب واحد. فلن يستطيع [illegible] يحب [illegible] وحده.

قالت كلير:

- [illegible] يا كلير

[illegible]

حوله.

- إنه هدية من صديق

قالت كلير:

- إنها مسبحة للصلاة. هل للسبب الزينة أم لدرء الجحيم عنك؟

نظرت كارا إلى لوكان:

- للزينة فقط. وأنت يا كلير [illegible] الدبوس الذي تشبكين به شالك. هل هو عنكبوت في شركة؟

ضحكت كلير وقالت:

- إن شكله يوحي بالشر أليس كذلك؟

قال لوكان وهو ينظر إلى أخته:

- إنه رمز.

سألت كلير:

- هل أنا الوحيدة هنا التي علقت في الشرك؟ ألسنا كلنا؟

قال لوكان عاقداً حاجبيه:

- كلنا في شرك صنيع القدر؟

- كلا. هذا ما نصنعه.

نظرت كلير إلى براند وهو يكسر الجوز بيديه القويتين.

- براند! ألا تكره هذه الشرك الذي تنصبه لك الأقدار؟

قال براند:

- القدر يا عزيزتي لا ينصب الشرك التي نقع فيها بل نحن ننسجها لأنفسنا حين تغلب العاطفة على العقل.

بعد العشاء طلب لوكان من كارا أن تعزف على البيانو. فتحت كارا غطاء البيانو وقالت:

- ماذا تريدني أن أعزف يا براند؟

قال براند:

- أحب مقطوعة العاصفة لبيتهوفن . . . وأظن أنها قوية جداً على يديك الصغيرتين.

قالت كارا:

- [illegible]

[illegible] البيانو [illegible]

ثم تذكرت [illegible] القديم للموسيقى والآلات الموسيقية المختلفة التي كانت تجمع في غرفتها في [illegible].

تحركت أصابع كارا بمهارة وهي تعزف على البيانو وملأت الموسيقى الصاخبة القاعة. لم تشعر بشيء حين اقترب لوكان وجلس في الظل قربها. كانت تشعر بعينيه ترقبانها. ماذا كان يفكر؟ كانت تضرب الأوتار بحنان وإحساس. ما الذي [illegible] هذا؟ ملأت العاطفة وحل مكانها الحزن. [illegible] مرتين [illegible] عندما تعزف بيد. إنها لغة غضب و[illegible]. ضربت أصابعها بقوة وتوقفت مع نهاية المقطوعة. صرخت كلير وهي تبدي إعجابها:

- يا عزيزتي لم أكن أعرف أنك تجيدين العزف على البيانو أيضاً!

قالت كارا وهي ترتجف من تأثير الموسيقى الطاغي:

- كنت دائماً مأخوذة بالموسيقى. حين أعزف أعزف بالإحساس

وعواطفي. كل استاذ موسيقى لا يعجبه اسلوبي. لا بد ان برايد لاحظ اني اعطلت حريتي في العد والتوزيع.
قال برايد بطلاقة:
ـ تستطيعين ان تأخذي الحرية التي ترغبينها يا كارا.
قامت كارا من البيانو وجلست في مكان قريب من برايد تاركة لوكان يجلس في الظل بعيداً عنها. وقالت:
ـ كم انت لطيف يا برايد. شكراً.
هدأ الحديث بعد الموسيقى القوية. واخذ الجميع يصغون الى صوت الموج وهو يتلاطم فوق الصخور بضربات منتظمة.
ـ سألت كلير لوكان:
ـ من المنتظر وصول خبير المباني لفحص الاساسات؟ هل تعتقد ان البيت الكبير بدأ ينهار فعلاً؟
ـ من الأسلم ان نقوم بفحص الاساسات. سيحضر الخبير خلال الأيام القليلة.
واخذ لوكان نفساً من سيكاره.
ـ صوت البحر عالٍ في هذه الأيام. هل لاحظتم ذلك؟
ـ كل واحد منا هنا على صلة روحية بالبحر. نحن آل سانفدح نعيش على هذه الشواطئ، لأن البحر على سفينة جدودنا الى هنا. وكارا ولدت في البحر الأيوني. ونلز تجري في عروقه دم من بحر القايكنغ. نستمع لصوت البحر كأنه يناجينا.
قال نلز منتشياً:
ـ لديك مخيلة الفنان الايرلندي الأصيل. البحر كالقلب... يكون لطيفاً هادئاً او قاسياً هائجاً.
صرخت كلير بعصبية:
ـ القلب وما شأنه هنا؟ احب ان اذهب بعيداً واعيش في كوخ مصنوع من القش في ايرلندا ولكن خليج التنين يمسك بكلتا يديه من يولد هنا.
سألها نلز:
ـ لن تذهبي بعيداً عن خليج التنين حين تتزوجين؟
كان نلز يحاول ان يثير غضب كلير ويحرك عاطفتها الباردة. وقفت كلير

طويلة، انيقة بشعرها الأحمر النحاسي. انها تنكر على نفسها الحق في محبة اي رجل.
قالت:
ـ نلز. لا تنظر الي هكذا. انك تحطمني.
قال نلز بهدوء:
ـ انت كأميرة الثلج يا كلير ولن تذوبي بسهولة. هل تعلمين ان هناك براكين تحت الثلج في أقصى الشمال؟ عندما تثور البراكين تذيب النار الثلج وتحوله الى ماء ينساب كأنه فيض من الدمع.
ـ لن ابكي ابداً يا نلز. انا اترك الدموع للنساء اللواتي يطمعن في حب الرجل.
وانحنت له انحناءة كلها سخرية.
ـ مساء الخير ايها الأمير الجميل.
خرجت كلير واغلقت الباب خلفها. وبعد تردد قليل خرج نلز الى الشرفة واخذ يتأمل الاشجار الغارقة في ضوء القمر.
قال برايد:
ـ انت مظلومة يا كارا. هل تحدثنا ليلة فاخرة، غريبة الأطوار؟ انا نجرح بعضنا البعض، أليس كذلك؟ نحن كعائلة الايرلنديين.
قالت كارا بلمسة:
ـ اني احاول ان افهمكم. انا يونانية ونحن شعب عاطفي. ولكننا لا نحارب العاطفة.
وبدت نحيلة ضائعة. لقد علقت مثل نلز في التيارات المتصارعة من الاحاسيس التي تغمر آل سانفدح. نظرت حولها تفتش عن صخرة تحتمي بها... كان لوكان وبرايد يلعبان الشطرنج
قالت كارا:
ـ ستتركني تلعبان الشطرنج. صاحب الفارس الأسود في خطر؟
قال برايد:
ـ الظاهر ان لوكان يهدد فارسي الأسود ويمنعه من الوصول الى الملكة.
هل تحاول ان تقضي من الوجود كلياً يا لوكان؟
ارتعشت كارا الآن للمنى اللطف بجماله كان واضحاً. البرامان الشفيفان

يتنافسان في حلبة صراع في خليج التين.

وركضت كارا خارجة... فسألها لوكان وفتح لها الباب.

وصلت الى جناح الزمرد تتفقد رو التي كانت نائمة وقربها جنجر عروستها المفضلة. رغبت كارا ان تمسك بها وترميها من النافذة لتتخلص من سحرها الاسود.

انحنت فوق رو وقبلت شعرها الاحمر. ثم فتحت النافذة ووقفت قرب الستارة تتذكر الليلة الماضية والعرس وراكه. ان حب السيطرة يجعل الانسان لا يميز بين الخطأ والصواب... ورفعت نظرها الى السماء. كان القمر قد فقد استدارته التامة. اغلقت النافذة واطفأت نور القنديل ثم اقفلت باب الغرفة بيده على احساس داخلي غريب.

دخلت كارا فراشها وتذكرت رسالة بول التي وصلتها بعد الظهر. سألها شقيقها ان تسامحه لتصرفه حيال زواجها... واعترف لها انه كان رجعياً ولم يلاحظ انها قد اصبحت امرأة لها عقل وقلب خاص بها. كان يأمل ان تجد الحب الصحيح مع شاب يوناني ولكنه سيكون سعيداً اذا كان لوكان سافدج قد منحها السعادة... حاولت كارا عبثاً ان لا تبكي. كانت الرسالة تحت رأسها كالصخرة.

وتضمنت الرسالة ومضة حب من دومني والصبي الصغير دومينيك الذي يسأل دائماً... متى ستعود عمتي كارا الى اليونان؟ ثم سيسعدها ان تجتمع رو بدومينيك. تذكرت دعوة بول لها ولزوجها لزيارة الديلوس في قرب فرصة. ووعدها بانه سيحتفل بزواجها على الطريقة اليونانية... الخراف المحشية بالارز والاعشاب والتوابل... العسل والفطائر الحلوى الكبيرة كالدواليب. الشراب والموسيقى في كل مكان.

وفي ختام الرسالة سألها بول ما اذا كانت حقاً سعيدة. وهل يعاملها لوكان سافدج معاملة حسنة؟ قال ان قلبها الكبير لا يستطيع ان يملأه الا رجل كبير.

تنهدت. ملاحظة واحدة سترسلها الى بول بانها غير سعيدة وخائفة، ستجعله يحضر على متن اول طائرة الى جزيرة دي لوك ويرحل بها بعيداً من خليج التين الى حيث الأمان والاستقرار في بيته... على جزيرة الديلوس.

كانت سارحة بافكارها عندما احست مسكة الباب تدار. قالت كلير بصوت منخفض:

- اعرف يا كارا انك صاحية. هل استطيع ان ادخل واتكلم معك؟ رأيت النور من تحت الباب.

ترددت كارا. لقد تحملت اكثر ما يمكنها من مزاح آل سافدج في ليلة واحدة. ولكنها تركت فراشها وفتحت لها الباب.

قالت كلير:

- اعرف ان الوقت متأخر ولكن يجب ان اتكلم مع احد.

- ادخلي.

شعرت كارا بالعباءة الحريرية. واغلقت الباب خلفها. كانت كلير ترتجف من رأسها حتى اخمص قدميها وقد بدت بدون مساحيق صفراء شاحبة كأن الاشباح تطاردها.

قالت كارا:

- سأشعل المدفأة الكهربائية.

ثم جلست على الاريكة تستمع اليها.

- كنت سأبقى وحدي في غرفتي وانا استمع الى صوت البحر. انه يلطم بانتظام كأنه مسعور او مجنون.

- لماذا تبقين هنا يا كلير؟ انك غير سعيدة وقلت البارحة ان عملك لا يسير سيراً حسناً.

قالت كلير بعصبية:

- لماذا يبقى اي منا هنا؟ لماذا تبقين انت يا كارا؟ انك تفضلين غرفتك في بيت لوكان على ما اعتقد.

ابتسمت كارا ابتسامة ضعيفة وهي تفتش عن سبب تبرر به موقفها.

- كنت افكر منذ ايام انك تبدين غير سعيدة هنا. كنت آمل ان يستقر لوكان ويكون زوجاً صالحاً لك. انت كالنبع العميق الهادئ. هادئة في سطحك وفي اعماقك تيارات متصارعة. ان لوكان يحتاج الى عاطفة ملتهبة.

وضعت كارا يديها على خديها. وتذكرت عناق لوكان لها. هل احتاج لوكان الى الحب فقط؟ ام يرغب باشياء اخرى لا تملكها هي؟

قالت كارا بصوت هادئ:

- جربت أن أجعله يهتم بي ولكنني لم أفلح. هناك حواجز عديدة تقف بيننا.

قالت كلير:

- هل هي كابريس؟

هزت كارا رأسها نفياً:

- لقد أخبرني لوكاس برحلته إلى باريس ونيته في أن يطلبها للزواج. ولسبب من الأسباب لم يفعل. ثم التقيته في بيروت [illegible] ...

سألتها كلير:

- هل وقعت في حبه؟

قالت كارا:

- ما هو الحب؟ لقد هربت من اليونان لأن الجميع هناك كانوا يعرفون أني أحب شاباً اسمه نيكوس. كنت صغيرة جداً. لم أفرق بين الحب والصداقة. واكتشفت الآن أني ونيكوس كنا صديقين حميمين فقط.

- نعم أنت صغيرة.

أرادت كارا أن تغير الموضوع لتعرف أسباب زيارتها لها في الليل.

سألتها:

- ما الذي حصل؟ هل ترغبين في شرب شيء؟

قالت كلير وهي تنظر إلى الغرفة التي تنام بها روز:

- هل هي نائمة؟

- ربما.

لوحت كارا برأسها.

فسألتها كلير:

- هل أستطيع أن أنظر إليها بسرعة؟ أنا لست عاطفية ولكن لدي رغبة ملحة في أن أراها وهي نائمة.

قالت كارا وهي تفتح لها الباب:

- على مهلك.

دخلت كلير ومشت ببطء نحو السرير. ووقفت تتأمل الصغيرة ثم رفعت يديها إلى فمها لتخفي صوت بكائها. ركضت خارجة من الغرفة وجثت على ركبتيها قرب الأريكة وأخفت وجهها بالوسائد. كانت لا تزال تبكي

حين وصلت إليها كارا بعد أن أقفلت الباب.

قالت كلير وهي تجهش بالبكاء:

- إنها ابنتي. روز هي ابنتي.

١١ - نهاية البيت الكبير

كانت كلير تقول وهي تجلس فوق الأريكة منهارة القوى، تعبة بعد عاصفة الدموع:

- هذا صحيح. لا أستطيع أن أكتم الحقيقة فترة أطول. كان علي أن أخبر أحداً. لم أعترف لأي شخص بهذه الحقيقة ولا حتى إلى لوكان. لكنه يعرف الحقيقة ولقد أعطاها الحب الذي كان يجب أن أسبغه عليها. كي تعتقد أنه والدها. رأيت أن أحيطك بهذه الحقيقة حتى لا تغضبي أو تعتقدي أنه رجل غير مسؤول ولا قلب له. لوكان لا يتورط في حب فتاة ويغرر بها ولا يأبه بعد ذلك للنتائج عمله...

قالت كارا بحزن:

- تبلغ رو الثماني سنوات من عمرها. ورغبت ألا يلوم الناس شقيقك كلما كل هذه السنوات؟

أجابتها كلير شبه مختنقة:

- نعم. رو تشبهه كثيراً منذ ولادتها. لها لون عينيه الخضراوين وشعره الأحمر وابتسامته ونظراته الغامضة. لذلك انطلقت الشائعة على الجميع. كنت واثقة أن لوكان لن يفشي سري...

واكملت كلير حديثها وعيناها تفيضان بالدموع:

- ومع مرور الزمن لم يأبه لوكان بكلام الناس وهم يتهامسون بأنها ابنته كان يحبها بجنون وهي تعبده. وهذا الحب بينهما كان يزيد من حسد براين.

سألتها كارا بحماس:

- ألم يشك براين أبداً بالحقيقة؟

- لا. كان براين يؤمن أن لوكان والدها. منذ كان لوكان فتى في سن الطيش، كان جذاباً لا تقاوم الفتيات سحره. كان يلهو معهن ولكنه لم يحطم قلب أي منهن.

تساءلت كارا في نفسها... ألم يحطم لها قلبها وجسمها؟ ألم يجعلها محشورة في بيت الشاطئ، دون رحمة أو حنان؟

- أنك تنظرين إلي بعينيك الواسعتين ولا تصدقين. وجهك كله تعابير وأحاسيس. أنت من أهل الناس الذين عرفتهم. عيناك كلتاهما مرآة تعكسان بصراحة ما في قلبك.

عرفت كارا أنها ترى كلير على حقيقتها... امرأة مشحونة بالعواطف تخفيها تحت قناع وهمي وبرودة مصطنعة.

- كلنا نلبس أقنعة نختفي تحتها حقيقتنا. نخفي العواطف التي نستحي منها.

سألتها كارا:

- ولماذا نستحي من الحب؟ لم تحبي الرجل... والد رو؟

مرت التعابير الحزينة وجه كلير وأمسكت بكارا كأنها تريد أن تنشب أظافرها في لحمها وقالت:

- سوف لن أحب أي رجل آخر في حياتي كما أحببت والد رو. كان جميلاً وصلباً. كان رساماً تشكيلياً التقيته في باريس حين كنت أدرس الفن والنحت. كنا نلتقي سوية في المقهى. نتحدث ونتجادل ونأكل الدجاج المشوي. كنت أحذره ولكنني لم أستطع أن أبتعد عنه. كانت تجذبني إليه قوة سحرية لا قبل لي على كسر طوقها. في يوم من الأيام اخبرني أن صديقه يملك كوخاً للصيد في الغابة خارج باريس وطلب مني أن أصحبه لنمضي فيه أسبوعاً سوية.

توقفت كلير عن الكلام لحظة وأخذت نفساً عميقاً:

- كنت في الثامنة عشرة من عمري. مغرمة به حتى الجنون. لم أر خطأ في حبه. كان فناناً موهوباً يحاول أن يصنع مستقبله كما كنت أنا أحاول أن أصنع نفسي. لم أنتظر منه أن يتزوجني... ذهبنا إلى كوخ الأحلام. كنا منعزلين عن العالم. لا رفيق لنا إلا الغزلان والظباء. مشينا في الغابة وتمتعنا بالطبيعة... تحدثنا وقضينا الساعات الهنية... وفي يوم، حضرت إلى

الكوخ امرأة في الاربعين من عمرها، زكية حصانها، في وجهها مسحة جمال زائل، تتصرف بكبرياء علية القوم. كنت وحدي في الكوخ حيث تذهب ليون يسبح قرب النبع.

. . . هذا الكوخ ملكي. القصر ذو الابراج الذي تريه بين الاشجار هناك ملكي. كل هذه الغابة ملكي. حبيبك للاسبوع السابق هو ملكي . . . ليون زوجي. قالت المرأة ذلك والكزت فرسها وذهبت من حيث اتت. ذهبت الى قصرها ذي الابراج وسط الغابة . . . واصبح اليوم اشد بأساً لي. وقفت مدهوشة وخائفة انتظر عودة ليون. لم اكن اعلم ان ليون رجل متزوج . . . اردت ان اجعله يحبني بقدر ما احبه حتى لا يرضى ان يتخلى عني ابداً.

حين عاد من السباحة اخبرته اني قابلت زوجته. ضحك، وهز كتفيه غير لا يهتم. اخذ سيكارة واشعلها. كان متزوجاً وكل ما قالته المرأة . . . زوجته كان صحيحاً.

زوجته غنية لن يفارق عنها ولن ترضى هي ان تطلقه. كانا متفاهمين. كانت تريد زوجاً شاباً جميلاً وكان يريد زوجة غنية تسمح له ان يتصرف على هواه ويشبع نزواته ويعشق فيه. كان يعشق الفتاة الشابة فترة حتى يملها فينتقل الى غيرها.

ووعيت الحقيقة. ركضت في الغابة ابكي بوحشية ومرارة. كانت كرامتي قد اهينت. وعيت نفسي لرجل مخادع منافق. رجل لا اعني له اي شيء سوى تحقيق نزوة طائشة ومتعة عابرة. لم اكن اكثر من كسب جديد في حياته.

عدت الى باريس. كنت اعيش مع كاتريس في شقة صغيرة. كانت كاتريس تعمل عارضة للازياء. وكثيراً ما لوكاك في باريس في رحلة عمل كان يصحبها الى الرقص والعشاء. وقد تعرفت في تلك الفترة الى نكر. كنت سأنسى ليون مع الزمن لو لم يترك في احشائي ذكرى ابدية لا استطيع الهروب منها.

تركت باريس الى هايتي وتظاهرت اني ذاهبة لاتعلم النحت هناك. وبدلاً من هايتي ذهبت الى جزيرة ترينيداد وعشت متخفية هناك حين وضعت رو. لا احد يعرف اني من آل سافدج. عشت مع احدى

الكاريبيات. كانت تشتري لي حاجتي اليومية وكنت لا اغادر المنزل إلا ليلاً. كانت فقيرة تعمل في الخياطة. اعطيتها ما يكفي من المال لتفتح محلاً للخياطة مقابل ان تذهب في مركب لشحن الموز الى جزيرة في لوك. ومن هناك تذهب بطريق البر الى خليج التين وتضع الطفلة على باب البيت الكبير . . .

هدأت كثير بعد ان انهت اعترافها وقالت:

ـ كنت اعرف ان برايد سيتبناها عندما ينظر اليها. سيعرف انها من آل سافدج . . .

قالت كارا بوضوح:

ـ وسيتهم لوكاك بأنه والدها.

ـ نعم هذا صحيح. لن يلوم احد برايد لأنه تسرع ومتقد. كان الجميع يعلمون اني في هايتي حيث ادرس. حين عادت مرة من مهمتها عدت بالطائرة الى باريس. كنت اثق بها وقد طلبت منها ان تترك مع الطفلة ورقة باسمها . . . رو.

عندما عدت اخيراً الى خليج التين كانت رو قد بلغت الخامسة من عمرها. كنت اخاف ان انظر اليها حتى لا ارى ليون في وجهها. كنها سافدج ولكن الغزلان والظباء كانت في داخلها من تأثير اسبوع قضيته في الجنة. اسبوع انتهى منذ زمن بعد ان حرمني من وهم كبير . . . وهم الحب. بقيت لسنين طويلة لا احتمل لمسة رجل. في الليلة الاخيرة فقط . . .

جلست تائهة تنظر الى وجه كارا:

ـ كيف لي ان اثق برجل مرة ثانية؟

سألتها كارا:

ـ منذ متى تعرفين الز اريكسون؟

اجابت نكر:

ـ قبل ان اضع رو.

ـ ان كنت تتصادين نكر، فلا اظنه يريدك لاسبوع واحد فقط.

ـ انصرفت الرجال من حياتي العاطفية وكرست وقتي كله للعمل.

ـ حيث الحجارة الباردة. الحياة بدون حب لا تحتمل. انت لست

لعرفته يا كلير. والانسان يحتاج للحب كحاجته للغذاء.

- الحب فيه امتلاك وعبودية. وسعادة المرأة يصنعها أو يشوهها الرجل الذي تحبه.

- رجل يوناني قال . . . ان ثمن السعادة يدفعه الانسان من الألم. ليس من السهل أن تكوني امرأة يا كلير. المرأة مخلوقة رومانسية. عاطفة وحساسة. نحن لا نريد ان نعيش لنأكل ونشرب فقط.

- اعلم ان المرأة الوحيدة تشبه الكنيسة المهجورة كلها صدى للأحلام. تلز لطيف ولكنني لا اشعر معه بالحب الحقيقي الذي عشته في رفقة نيوك.

- كنت فتاة صغيرة حينئذ. كثيرات من النساء يفضلن الحب الفاشل.

- انت منهن يا كلارا. انت تفضلين الحب الفاشل بالطبع. انشغلت عنك بشؤوني وشجوني ولم افكر بمشكلتك يا عزيزتي. حب لوكاك لك لن يكون عاطفياً ابداً. كان عليك ان تعرفي ذلك منذ البداية.

- طبعاً. انا لا انتظر من لوكاك ان يتغير. الجميع هنا يقولون انه عابث. وانا اعتقد انه شيطان رجيم.

- انه ساخر. نحن متوحشون. نعيش كما نريد ولا نحسب الشرور في حساب. لوكاك لا يمكنه ان يصبح ملاكاً . . .

- انا لا اريد ملاكاً ولكنني اريد رجلاً اثق به.

خيل اليها انها تسمع وقع حوافر من جديد. شعرت بان الخطر يحدق بها من كل جانب.

قالت كلير:

- انت متعبة يا كلارا. افكرك على احتضانك لرو. ربما تعتقدين انني ام غير طبيعية . . . ربما تظنين ان علي ان اخبر رو بالحقيقة. ولكنني لا استطيع. الحديث الذي دار هذه الليلة سيبقى سراً بيننا. هل تفهمين؟

- لا . لا افهم.

- رو تعتقد ان لوكاك والدها. هي تحبه بجنون ولا يمكنها ان تحمي مثله من القسوة الا امرهات. انا ارغب في الرحيل من خليج التين قريباً. سأذهب مع تلز الى انكلترا. سنبني حياتنا هناك من جديد.

- رو ابنتك. كيف تفكرين بان تتركيها هنا؟

- لا يمكنني ان اصحب ابنة ليود معي في حياتي الجديدة مع تلز. كما انك

لا يمكنني ان احطم قلبها وابعدها عن لوكاك. رو انثق به كثيراً ولو كنت انت لا تثقين به.

الثقة كلمة مرادفة للحب. كانت كلارا واثقة بأنها ابداً او بعد غد ستبقى وحدها مع لوكاك . . . سيبقى لها وحدها. ولن يكون عليها ان تهرب آلاف الأميال بعيداً عن البيت الكبير في خليج التين . . .

بعد مرور خمسة وعشرين عاماً على زواج احد العمال في المزرعة قرر الزوجان ان يحتفلا بالعيد الفضي لزواجهما السعيد. جميع العمال والخدم في المنزل اعلموا انذاً من يريد ليحضروا الاحتفال.

سيكون الحفلة اهم حدث في خليج التين منذ زمن بعيد. هناك فرقة تعزف الموسيقى وطاولات محملة بأنواع الحلوى . . . ورقص وغناء.

كانت رو متحمسة تتكلم مع كلارا عن الحفلة وطلبت اليها ان تأخذها لترى العروس التي تحتفل بزواجها الفضي. كانت كلير تدخل الجناح وسمعت ما قالته رو.

- انا اعرف ليل وجو. انني متأكدة انها لن يمانعا في ان اصطحب رو معي لتشاهد الرقص. هل تذهبين يا رو برفقتي؟

ركضت رو وعانقت كلير من خصرها موافقة. وكانت فرحة كلير اكبر من ان توصف بهذا العناق العفوي.

لم تذهب كلارا الى الحفلة لأنها رغبت ان تترك رو وكلير وحدهما. كانت تتمنى لو تستطيع كلير ان تخبر الطفلة الحقيقة . . . انها ام وابنتها.

كان يوم الجمعة بعد الظهر هو موعد الحفلة. خرج الخدم بأبهى زينتهم من البيت الكبير. وذهبت كلير بسيارتها ومعها تلز ورو. كان لوكاك في حقول القصب وقد خرج منذ الصباح الباكر ولن يعود قبل الرابعة بعد الظهر.

وقفت كلارا في القاعة قبل ان تدخل مكتب والدها. اخذت خطوتين ثم توقفت مترددة. ونظرت الى السقف حيث وقعت الثريا فخفق قلبها لأن السقف كأن يتشقق من جديد . . .

دقت الساعة الثالثة ورأت كلارا نفسها في المرآة . . . نحيلة وقلقة وشكلها غريب. اقتربت من المرآة . . . لقد تشققت مثل السقف. احست بالبرودة تنتشر في اطرافها. كانت المرآة المكسورة دليل شؤم. وسمعت

الفرس يصهل في الاسطبل وراء المنزل. ركضت ودخلت مكتب برايد وفتحت الباب وهي تنادي:

- برايد؟

لا جواب. الغرفة فارغة الا من الاثريات النادرة والزينات الجميلة. حدقت حولها ثم مشت الى النافذة ونظرت الى الخارج. كان برايد يترجل عن الفرس الذهبي ذي الرأس الاسود وتمسكت بالستارة مرتعبة بينما مشى برايد من باب جانبي الى داخل المنزل. تسمرت كارا في مكانها. كانت تعرف انها وحدها مع الرجل الذي يريد ان يؤذيها دون رحمة...

كانت ما تزال في المكتب حين دخل برايد في ثياب الركوب. نظر اليها والعلت تعلق به وقد انسحب مقلتاها. قالت بخوف:

- برايد؟

- نعم يا عزيزتي. برايد الكسيح الذي يمشي من جديد ويركب الفرس من جديد. ربما لا اكون بلباقة وجاذبية شقيقي. وانا لم اكن ابداً اتمتع بلباقته وسحره ولا احسن معاملة العمال مثله.

بدأت كارا ترتجف كأن الارض تهتز من تحتها. وامسكت بالمكتبة كي لا تقع ارضاً. سألته بصوت يرتجف:

- منذ متى وانت تمشي وتركب؟

- منذ سنة تقريباً. لقد انقلب الكرسي المتحرك بي وبدلاً من ان اجد نفسي ضعيفاً لاصقاً بالارض اكتشفت اني استطيع ان اتحرك وحدي. كان نلز يعمل لي مساجاً وقد ساعدني في استعادة استعمال النصف الثاني من جسمي. وكنا نريد ان تعلن الناقص القوي بل سيد خليج التنين.

- لماذا لم تخبرنا؟ لماذا بقيت تطلب لوكان وتقبل عليه دور الشهيد؟ كنت تطلب منه زوجه لانك مقعد. كان سيفرح كثيراً لو اعلمته بما حدث.

- لست متأكداً. كان لوكان يتمتع بحياته بينما انا مقعد في كرسي متحرك. انا اريده ان يتألم. كنت اتمنى ان يتزوج كالفرس للجزيرة اللعوب. كانت ستطلب منه الكثير من الاهتمام وسترفض ان تعطيه الولد كي لا تخسر جمال جسمها.

ضحك برايد وصب لنفسه كأساً وقال:

- لوكان عاطفي ولكنه يخجل من ان يظهر عاطفته. كانت والدتي

تفضلني عليه لأني اشبهها بينما لوكان يشبه والدي. لم تكن والدتي ايرلندية ولا عاطفية. كانت تحب السيطرة وتستمتع بكونها سيدة خليج التنين حيث الخدم والعمال في طاعتها. وكان لوكان يهتم بالعمال من الناحية الاجتماعية... اي يهتم بايجاد العمل الذي يوفر راحة اكبر لعدد كبير من العمال وعائلاتهم.

ضحك برايد من جديد واكمل حديثه:

- لوكان لا يحب العبودية، كالاخوين الايرلنديين اللذين اسسا البيت الكبير في خليج التنين. ولكني انا جعلته عبداً لي.

ارتجفت كارا واحست ان الارض تهتز بالفعل تحت رجليها وقالت بصعوبة:

- انت الذي كنت تركب الحصان البارحة ليلاً. وانت الذي ركض خلفي ليدفعني قرب المنجم القديم.

قال يسخر منها:

- لقد اكتشفت سري، ويا للأسف. اردت ان اوهمك ان لوكان يريد بك شراً كي تكرهيه. انت انسانة غير عادية تقدرين الجمال ولك احساس مرهف. اني احبك واريدك لنفسي.

انسحبت عينا برايد. كانتا مرعبتين. وادركت كارا انها لو حاولت ان تركض لامسك بها بيديه القويتين. تذكرت ان لوكان سيحضر في الرابعة عليها ان تحادثه وتطرح عليه الاسئلة لتجعل الوقت يمر حتى يحضر زوجها وينقذها منه...

- انت الذي تحديت لوكان التسلق الصخور. هل كنت تأمل في ان يسقط؟

- يا عزيزتي. التنين يحرس آل ساندرو. الا تعرفين؟ انت خائفة مني وتقفين امامي تحدقين كالقطة.

- لقد قالت والدتك ان اللوم يقع على لوكان في الحادث. هل تعرف ذلك تمشي من جديد؟

- طبعاً. كانت دائماً تحبني وتخلص لي وتفعل كل ما اطلبه منها. انها هي التي اشترت لي الفرس ساتان. الساتان الاصيل يربى خارج الجزيرة من جل التناسل. كان الجميع يعتقد اني لن امشي من جديد او احب امرأة

من جديد...

مشى براند خطوة أخرى نحوها. وكانت تصرخ. في تلك اللحظة لمع البرق قليلاً في السماء.

- وليت أجمل منك بين النساء ولكني لم أر أية فتاة لها عينان سوداوان فيهما جاذبية غريبة كعينيك. عيناك مثل هذه الزهرية لا تقدران بثمن.

كانت الزهرية إلى شمال كارا. امسكت بها بسرعة ورمتها في الشدة فتحطمت إلى أجزاء صغيرة. ذهل براند ولم يصدق ما حدث. ثم صرخ صرخة غضب وانحنى يجمع أجزاءها البلورية الثمينة. اغتنمت كارا هذه الفرصة وركضت هاربة إلى القاعة.

كان براند يصرخ:

- دا، أين أنت أيتها الساحرة العجوز؟... لا تتركيها تهرب! فتحت كارا الباب وخرجت. وهتفت بها دا ولكنها كانت أعجز من أن تستطيع اللحاق بها. ركضت كارا باتجاه حقول القصب حيث يعمل لوكان... لوكان. لوكان. كانت ضربات قلبها تتلاحق وعلى شفتيها صلاة صامتة تسبح باسمه.

- لوكان!

ركضت نحو الفارس الذي رأته يسير باتجاهها وكأنها في حلم مريع. رفعها الفارس إلى جواده بيديه القويتين وقد أمسك بجسمها النحيل المرتجف وقربها إلى صدره الدافئ القاسي. امسكت بكتفيه وهي ما تزال ترتعد، وغمرها الفرح لقربه منها. شعرت بالأمان. وسمعته يقول:

- يا إلهي. هنا براند واقف في المدخل!

عاد براند إلى داخل البيت الكبير. والتمع البرق من جديد بينما كان الحصان يصهل وقد تسمر في المدخل. دوى الرعد واخذ المنزل ينهار. تداعت الجدران وسقطت الأعمدة الطويلة. وبدأت الصخور المرتفعة تتدحرج حاملة معها البيت الكبير إلى البحر.

كان الصوت مخيفاً كأنه وحش مجروح يئن. تهدم المنزل. واشاح لوكان فرسه عن رؤية المشهد المريع ثم سار إلى بيت الناظر. ثم ترجل وحمل كارا بين ذراعيه وانزلها إلى الأرض. وقفا سوية متماسكين مدهوشين كأنهما

طفلان. قال لوكان:

- هي لا تعود إلى هناك. أبقي انت هنا يا كارا.

ركب لوكان وعاد يفتش بين الأنقاض قرب الشاطئ، لعله يجد براند. وعاد بعد ساعات وهو متعب حزين. لقد رحل براند عنها إلى الأبد.

كانت الإثارة عند براند من جراء عجزه قد تحولت إلى كراهية نحو لوكان ثم إلى جنون أعمى.

كيف فقدت ثقتها بلوكان؟ بحثت في البيت الكبير وهي تعتقد أن لوكان يريد إذلالها. كانت رغبة أن تموت على أن تعيش بدونه. كان حبها له أقوى من أن تغرقه البحار الشاسعة التي تفصل الجزائر عن البحر الكاريبي.

في المساء، حين عادت كلير برفقة رو وبلز اخبرها لوكان أن البحر قد جرف البيت الكبير واضاف:

- أتمنى ألا يكون براند قد تألم كثيراً.

وطلب من كارا أن تخبره عن الحلم المريع الذي عاشته آخر ساعة أمضتها في حضرة براند وداء الساحرة. ترددت قليلاً. ثم أخبرته كل شيء، كان عليه أن يعرف كل شيء. ولما انتهت من سرد قصتها دفنت رأسها في صدره واخذت تبكي من جديد. قال لوكان بصوت حزين:

- هل حقاً شككت في حبي لك يا كارا؟

- وكيف كان لي أن أعرف أنك تحبني؟ كل ما كنت تقوله او تفعله كان من أجل شقيقك براند.

- ألم تشعري بحبي لك في الليلة التي أمضيتها معك في منزل الشاطئ؟

ما شعرت به شعرت أعمق من كل الكلمات. كنت دائماً تهربين مني ولقد انتظرت طويلاً لأجعلك ملكي.

قالت كارا:

- اعتقدت أن ذلك تم ايضاً من أجل براند. كان عظيم الشفقة. كان يتآمر عليك ليجعلني أكرهك... لماذا لم تقل لي انك تحبني؟

قال ضاحكاً:

- نحن لا نتكلم عن الحب في خليج التنين.
فقالت له بحنان:
- ولكننا نستطيع ان نفعل ذلك الآن! حاول يا عزيزي. قل لي انك تحبني وتهتم بي.
نظر اليها لوكاس بحرقة ثم جذبها الى صدره. وبدءا الآن تعانقا وتحدثا بسعادة في مستقبل خليج التنين.
- سنبقى هنا يا لوكاس. سنبني منزلاً جديداً. العمال يحتاجونك هنا. وانا احتاجك اكثر من الجميع.

روايات عبير

HARLEQUIN – "ABIR" – No. 117

توام التنين

ربما كان الفشل في الحب هو الذي قادها الى المغامرة في البحر الكاريبي، ولكن الصدفة ايضا كانت تتربص بالفتاة اليونانية الحالمة كارا. الصدفة البسيطة العارضة التي ستكون الفارق بين ماضيها ومستقبلها...

كانت تبحث عن السلام فوجدت حلما جديدا ينتظرها، وكان الرجل الذي قدم لها هذا الحلم هو لوكان مافدج، المزارع الايرلندي المرهوب الجانب في جزيرة لوك. وعندما أخذها عبر الغابات الى بيته الكبير على ساحل البحر، كانت تحلم بالسعادة من جديد.

ولكنها لم تكن تعلم انها ذاهبة الى مأوى التنين...